النزعة الأخلاقية في فلسفة برنارد جيرت
(رؤية معاصرة لفلسفة الأخلاق)

د/محمود ابراهيم محمد عبدالقادر

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد بكلية الاداب – جامعة اسيوط

ملخص الدراسة:

تُعد فلسفة الأخلاق من أهم فروع الفلسفة التي حظيت باهتمام الكثير من المدارس الفلسفية عبر تاريخ الفكر الفلسفي من القديم إلى المعاصر، فلقد اهتم الفلاسفة بدراسة النظرية الأخلاقية، ووضع ضوابط وأسُس للقيم الأخلاقية، ومن هذا المنطلق كان موضوع الدراسة هو" النزعة الأخلاقية في فلسفة برنارد جيرت "**Bernard Gert** وهو فيلسوف أمريكي يُعد من أهم فلاسفة الأخلاق في القرن العشرين، يرى "جيرت" أن الأخلاق هي نظام عام ينطبق على جميع الأفراد، ويحكم السلوك، ويتضمن القواعد والمثل العليا الأخلاقية، ويُبين "جيرت" أنه لا بد من التأكد من أن جميع القواعد الأخلاقية ذات صلة بالأمر المطروح من أجل إجراء تقييم مبرر، فالقواعد الأخلاقية جزء من نظام، تُوفر دائما مجموعة من الخيارات المقبولة أخلاقيا، فتحاول الدراسة إبراز أهمية فلسفة الأخلاق ومحاورها عند "جيرت"، وكيف عالج موضوعاتها، وكذلك توضيح إسهامات "جيرت" في فلسفة الأخلاق المعاصرة، وبيان جانبها العملي والتطبيقي، ومدى واقعية الأخلاق، وتوافقها مع طبيعة وظروف الفكر المعاصر، أما عن منهج الدراسة فهو المنهج التحليلي المقارن، وكذلك أيضا المنهج النقدي، وتوصلنا مع "جيرت" إلي أن الأخلاق تتصف بالعالمية، وأن ما يبدو أنه نُظم أخلاقية مختلفة هو مجرد أنواع وأشكال مختلفة من الأخلاق العالمية، فكل سمة من سمات الأخلاق يجب أن تقدم هدفا وغاية عامة لجميع البشرية.

Abstract:

The philosophy of morals is one of the most important branches of philosophy that has attracted the attention of many philosophical schools throughout from ancient to contemporary history of philosophical thought. Bernard Gert is an American philosopher who is considered one of the most important moral philosophers in the twentieth century who believes that ethics is a general system that applies to all individuals, governs behaviour, and includes ethical rules and ideals. Gert states that it is necessary to ensure that all ethical information is relevant to the matter in question in order to put up a justified assessment. Ethical rules are part of a system that always provides a set of ethically acceptable options. This study tries to highlight the importance of the philosophy of morals and its themes as presented and discussed by "Gert". Additionally, the study clarifies the contributions of "Gert" in the philosophy of contemporary ethics indicating its practical and applied side. Furthermore, the study discusses the extent of realism of ethics and its compatibility with the nature and circumstances of contemporary thought. The researcher concludes that according to "Gert", morals are characterized by universality, and that what appear to be different moral systems are just different types and forms of universal morals.

مقدمة:

تُعد فلسفة الأخلاق من أهم فروع الفلسفة التي حظيت باهتمام الكثير من المدارس الفلسفية عبر تاريخ الفكر الفلسفي من القديم إلى المعاصر، فلقد اهتم الفلاسفة بوضع تعريف للأخلاق وتفسيرها، ودراسة النظرية الأخلاقية، ثم محاولة وضع ضوابط وأسُس للقيم الأخلاقية، فالأخلاق مجموعة من القواعد والعادات السلوكية التي يعتنقها ويؤمن بها مجتمع ما، فتصبح مُلزمة لسلوك الأفراد، ومنظِمة لعلاقات الإنسان بالآخر والمجتمع، وهي منظومة قيم يراها الناس بشكل عام جالبة للخير وطاردة للشر، وهي ما يتميز به الإنسان عن غيره، والأخلاق شكل من أشكال الوعي الإنساني، ومجموعة من القيم والمبادئ تحرك الأشخاص؛ بحيث ترتقي لدرجة أنها تصبح مرجعية ثقافية للشعوب، وهي السجايا والطباع والأحوال الباطنة التي تُدرك بالبصيرة والغريزة.

والأخلاق إقامة السلوك الإنساني على ضوء القواعد الأخلاقية التي تضع معايير للسلوك، يضعها الإنسان لنفسه ويراها التزامات ومبادئ يسير عليها وواجبات تتم بداخله، وهي محاولة التطبيق العلمي والواقعي للمعاني التي يديرها علم الأخلاق بصفة نظرية، وتنقسم الأخلاق إلى أربعة مجالات دراسية رئيسة: الأخلاقيات العليا، وتتعلق بالمعنى النظري للافتراضات الأخلاقية ومرجعيتها، وكيف يمكن تحديد القيم الحقيقية لها، والأخلاقيات المعيارية، وتتعلق بالأساليب العملية لتحديد نهج أخلاقي للأفعال، والأخلاقيات التطبيقية، وتتناول كيف يمكن تحقيق النتائج الأخلاقية في مواقف معينة، والأخلاقيات الوصفية، وهي دراسة معتقدات الناس فيما يتعلق بالأخلاق.

ومن هذا المنطلق كان موضوع هذه الدراسة هو" النزعة الأخلاقية في فلسفة برنارد جيرت "**Bernard Gert** وهو فيلسوف أمريكي(١٩٣٤م –٢٠١١م) يُعد من أهم فلاسفة الأخلاق في القرن العشرين، يرى "جيرت" أن الأخلاق هي نظام عام ينطبق على جميع الأفراد، ويحكم السلوك الذي يؤثر على الآخرين، ويتضمن ما يُعرف بالقواعد والمثل العليا والفضائل الأخلاقية، ويكون هدفه التقليل من الشر أو الأذى، فالقواعد الأخلاقية ليست مطلقة، ولكنها تقبل الاستثناءات لتحديد ما إذا كانت القاعدة الأخلاقية تنطبق في حالة معينة، أو ما إذا كان هناك استثناء، ويُبين "جيرت" أنه لا بد من التأكد من أن جميع

القواعد الأخلاقية ذات صلة بالأمر المطروح من أجل إجراء تقييم مبرر، وكذلك النظر في عواقب معرفة الآخرين بإمكانية انتهاك القاعدة الأخلاقية في ظروف مماثلة، فالقواعد الأخلاقية جزء من نظام، تُوفر دائما مجموعة من الخيارات المقبولة أخلاقيا، أما المثل الأخلاقية وفقًا لـــ"جيرت"، فتهدف إلى تقليل مقدار الأذى أو الشر في العالم، وهي تختلف عن القواعد الأخلاقية، بأن لها متطلبات، حيث يتجنب الناس القيام بأنواع معينة من الأفعال التي تسبب أضرارا للآخرين، فالأخلاق تشجع الناس على الالتزام بالمثل الأخلاقية.

ويوضح "جيرت" أن القرارات الأخلاقية يتم اتخاذها ضمن سياق الأنشطة التي تستند إلى أساس أخلاقي، ويقدم "جيرت" نظاما أخلاقيا يستخدمه معظم الأفراد عند اتخاذ القرارات والأحكام الأخلاقية اليومية، فالأخلاق العامة مفيدة وهي قادرة على التمييز بين الإجابات المقبولة وغير المقبولة على المشكلات الأخلاقية، ثم يوضح "جيرت" السمات الأساسية للأخلاق المشتركة، وهي: القواعد الأخلاقية، والمثل الأخلاقية، وتتضمن القواعد الأخلاقية قواعد يمكن للجميع الاتفاق عليها، مثل "لا تقتل"، "لا تخدع"، و"أوف بوعودك"، وتشمل المثل الأخلاقية "تخفيف الألم"، و"مساعدة المحتاجين"، ثم يفحص"جيرت" المفاهيم الأساسية التي تبرر الأخلاق المشتركة، مثل مفهومي العقلانية والحياد، ثم يُبين "جيرت" أن الأخلاق نظام لا يقدم إجابات فريدة لكل سؤال أخلاقي، ولكنه يحدد نطاق الخيارات المقبولة أخلاقيًا، وبالتالي يشرح سبب عدم إمكانية حل بعض الخلافات الأخلاقية؛ لأن القواعد الأخلاقية ليست سوى جزء من النظام الأخلاقي.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في:

محاولة إبراز معنى وأهمية فلسفة الأخلاق وأبعادها ومحاورها عند "جيرت"، وكيف عالج موضوعاتها، وإلى أي مدى تُعد ملمحًا بارزًا في فلسفته وشخصيته المعاصرة، كما تحاول الدراسة توضيح إسهامات "جيرت" في فلسفة الأخلاق المعاصرة، وبيان جانبها العملي والتطبيقي، ومدى واقعية الأخلاق، وبيان هل اختلفت رؤيته حول معنى الأخلاق وفلسفتها عن غيره من الفلاسفة، ثم بيان أن "جيرت" قدم إسهامات كثيرة ومتعددة في

الفلسفة خاصة فلسفة الأخلاق وهي موضع الدراسة، وقد شملت فلسفته الأخلاقية الحديث عن الأخلاق المشتركة، وخصائص القواعد الأخلاقية، ونظرية المثل.

اهداف الدراسة: ترجع أهداف الدراسة إلى:

أولًا– بيان دور "جيرت" في تقديم فلسفة أخلاق معاصرة، تتوافق مع طبيعة وظروف الفكر المعاصر، وتقديم طرق لمعالجة قضايا فلسفة الأخلاق، فالجوانب الأخلاقية في فلسفته أعطت شخصيته دورًا بارزًا في مجتمعه.

ثانيًا– تقييم النظرية الأخلاقية عند "جيرت" وبيان مدى إسهامه في تطوير النظرية الأخلاقية المعاصرة.

ثالثًا– عرض النتائج التي توصل إليها "جيرت" وبيان أهميتها في اطار فلسفة الأخلاق، مما يثري الفكر الفلسفي المعاصر بنظرية أخلاقية جديدة ذات معنى وتأثير في المجتمع من خلال محتوياتها وقضاياها التي عالجتها.

منهج الدراسة:

أما عن منهج الدراسة فإن طبيعة الدراسة تتطلب استخدام المنهج التحليلي المقارن، حيث يقوم الباحث بتحليل المفاهيم والأفكار والقضايا الواردة في مؤلفات "جيرت"، وبيان نظريته الأخلاقية، وأبعادها، وأثرهاعلى الفكر المعاصر، ثم مقارنتها مع غيره من الفلاسفة السابقين عليه أو المعاصرين له أو اللاحقين به، وكذلك يستخدم الباحث المنهج النقدي إذا تطلب الأمر ذلك.

وفي البداية يود الباحث تأكيد أن الأنظمة الأخلاقية تُقر بشكل عام في المجتمعات الإنسانية بهدف وضع ضوابط وأسس عامة وقيم ومبادئ تحكم السلوكيات الإنسانية، وتكون أساسا للعلاقة بين الفرد والآخر في المجتمع، وبذلك يتحقق الخير العام والسعادة لأفراد المجتمع؛ لأن الأخلاق تعبر عن الوعي الإنساني.

محـــــــاور الـــــــدراسة:

أولًا- ما الأخلاق عند "جيرت"؟

ثانيًا- الأخلاق كنظام عام.

ثالثًا- الأخلاق المشتركة.

رابعًا- النظريات والقواعد الأخلاقية.

خامسًا- الخصائص العامة للقواعد الأخلاقية.

سادسًا- السمات المميزة للأحكام الأخلاقية.

سابعًا- نظرية المُثل الأخلاقية.

أ- دور المثل الأخلاقية.

ب- المثل العليا الأخلاقية والقيم الأخلاقية.

ثامنًا- أهمية وجود سياسات أخلاقية عامة.

أخيرا: الخاتمة ونتائج البحث.

أولًا- ما الأخلاق عند "جيرت"؟

إن أول ما يبدأ به "جيرت" دراسته لفلسفة الأخلاق في كتابه "الأخلاق طبيعتها ومبرراتها"هو طرحه لهذا السؤال: ما الأخلاق؟ ثم يُجيب بأن الأخلاق هي تحديد وتفسير جميع القواعد والعلاقات الضرورية، مثل العلاقة بين الأخلاق والعلم، وبين الأخلاق والقانون، وبين الأخلاق والموضوعية، ثم معرفة كيف يتم اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام الأخلاقية، ويرى "جيرت" أنه أثناء تبرير القواعد الأخلاقية يقوم بتقديم بيانات أكثر دقة عنها والإجراءات التي تبرر انتهاكها، ولا يعد نفسه منشئا نظاما أخلاقيا جديدا أو نظرية أخلاقية، وإنما يعطي بيانا أكثر دقة عن النظام الأخلاقي المشترك الذي أصبح ممكنا من خلال الفهم الذي تقدمه النظرية الأخلاقية(١).

فالأخلاق وما تحتويه من قيم فاضلة ومبادئ سامية لا تكون أساسا للتقدم الروحي فحسب، بل إنها ضرورة حتمية للرقي والتحضر البشري، فحياة الفرد لا تستقيم إلا باكتسابه القيم والمعايير الأخلاقية التي تنظم سلوك حياته، فالفرد في الواقع أينما وجد لا بد له من صياغة سلوكه وتصرفاته في إطار معين ومحدد يتفق وينسجم مع تلك المبادئ التي يؤمن بها بقية الأفراد(٢)، وموضوع علم الأخلاق هو الأعمال الإنسانية، أي الصادرة عن تفكير وإرادة، وهو علم القواعد التي تحمل مراعاتها المرء على فعل الخير وتجنب الشر، وتسير عليها إرادته بالكامل في جميع أعماله ليصل للمثل الأعلى(٣).

وفي الإجابة أيضا على سؤال ما الأخلاق؟ يُبين "جيرت" أنه إذا بدأت بأن الأخلاق هي تعبير عن مطالب الأنا العليا، لكانت هذه الإجابة لا تفسر بشكل تفصيلي ما الأخلاق؟؛ لأن الأنا العليا تفرض مطالب كثيرة، منها مطالب أخلاقية، ومطالب غير أخلاقية، وهنا نتساءل: أيٌّ من هذه المطالب التي تفرضها الأنا العليا مطالب أخلاقية؟ ببساطة إن طرح هذا السؤال يوضح أن الأخلاق لا يمكن مساواتها مع مطالب الأنا العليا، فالأخلاق هي كلمة استثنائية، حيث يتحدث الناس عن الأخلاق نفسها، كما أن الاعتقاد السائد بأنه لا

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, Oxford University Press, 2005, p.,7.

٢- أبو بكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسوك الأخلاقي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٥، ص ٢١.

٣- محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، ١٩٤٠، ص ص ١٠-١١.

توجد أخلاق مشتركة أو عالمية، وأنه لا توجد أخلاق سوى أخلاق هذه المجموعة أو أخلاق ذلك المجتمع هو اعتقاد زائف، إنني أتحدث – أي "جيرت" – عن الأخلاق عموما، وليس أخلاق مجموعة أو مجتمع معين، بالإضافة إلى أن الأخلاق المشتركة أو العالمية لها ما يبررها: حيث إن جميع الأفراد يقبلون شروطا معينة ويفضلون اتخاذها كنظام عام(١).

والأخلاق أيضا تطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس، محمودة كانت أو مذمومة، فعلم الأخلاق يسمى علم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق، أو الحكمة العملية، أو الحكمة الخلقية، والمقصود به معرفة الفضائل، وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس، ولمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة، كما تكلم الفلاسفة عن طبيعة الوجدان، والضمير، وطبيعة الخير، والعدل، والواجب، والمحبة، وبنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصوروها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة(٢)، وعلم الأخلاق هو البحث عن الأعمال الحميدة للأخلاق، والصفات المرتبطة بأفعال الإنسان الاختيارية، وهذا يعني البحث عن الطرق والسبل الكفيلة باكتساب الصفات الحميدة والابتعاد عن الرذيلة(٣)، إذن الأخلاق علم معياري يهدف إلى صياغة مجموعة من المبادئ والقواعد تؤدى إلى تحقيق أهداف أخلاقية، وتميز بين الصحيح والخاطئ، والحق والباطل، فالقيم الأخلاقية هي الهدف المنشود، والأحكام الأخلاقية دائمًا ما تمتلك قيمة موضوعية؛ لأنها تحدد الهدف النهائي من السلوك(٤).

والحق أن مهمة الأخلاق هي تحقيق الخير العام للإنسان، وهي مرتبطة بالعلم والمعرفة، ودائما ما تحاول الإجابة على السؤال: كيف ينبغي أن يعيش الإنسان؟(٥)، هذا الخير ينبغي أن يكون خيرا في ذاته، ولابد أن يكون شاملا، بحيث تندرج تحته كل أوجه

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,3.

٢- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ص ٤٩- ٥٠.

٣ - الشيخ شفيق جرادي: مدخل إلي علم الأخلاق، دار المعارف الحكمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٢.

4- Lee Archie , John G. Archie : introduction to Ethics studies, gdfl, version .11 Edition , 2003, pp.,39-40.

5- Ann – Marie Christensen, : Depending on Ethics :Kierkegaard,s view of philosophy and Beyond , Res cogitans, issue, 4, vol.,1, 2007, pp., 8-9.

نشاطنا بوصفها وسائل لتحقيقه[١]، والأخلاق هي علم يُعرف به حال النفس، من حيث ماهيتها، وطبيعتها، وعلة وجودها، وفائدتها، ووظيفتها التي تؤديها، والفائدة من وجودها[٢]، وهي تشمل أولاً- الأخلاق النسبية: وهي مجموع قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين، فلكل شعب أخلاقه المتفقة مع شروط وجوده، دون تعريض نظام حياته للاضطراب، ثانيًا- الأخلاق المطلقة: وهي مجموع قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان، فالأخلاق هي الحكمةُ العملية التي تفسر معنى الخير والشر، وتنقسم إلى قسمين، أحدهما عام يشتمل على مبادئ السلوك الكلية، والآخر خاص يشتمل على تطبيق هذه المبادئ في مختلف نواحي الحياة الإنسانية[٣].

ومن الملاحظ أن الأخلاق – كما أكد راسل- ناتجة عن ضغط المجتمع على الفرد، فالإنسان كمخلوق اجتماعي ليس كاملاً، ولا يشعر شعورًا غريزيًا بالرغبات التي تفيد قطيعه، ولما كان القطيع يريد أن تكون تصرفات الفرد متناسقة مع مصالحه كمجموعة، فقد ابتكر عدة طرق تؤدي إلى جعل مصلحة الفرد متناسقة مع مصلحة القطيع، وأحد هذه الطرق هي النظام الأخلاقي الذي يصير قوة فعالة بطريقتين: أولاً- عن طريق السلطات، ثانيًا- عن طريق الثناء على الذات أو لومها[٤].

والأخلاق عموما تبحث في مسألة الصواب والخطأ، وما يتعلق بالعلاقات الإنسانية، كما تهتم بالكيفية التي من خلالها يمكن للإنسانية أن تحافظ على القيم الأخلاقية في ظل الوسائل التكنولوجية الحديثة، ويجب على الدول أن تحافظ على السلام من أجل المحافظة على القواعد الأخلاقية، فالموقف الأخلاقي يتضمن وجود عوامل أخلاقية يلتزم بها الإنسان من أجل اتخاذ قرارات واعية، فالمطالب تقابلها التزامات[٥]، وقد اكتسبت الأخلاق الكثير من الاتساع والشمولية والموثوقية حتى أصبحنا نتحدث عن الأخلاق المقارنة، وهي تهتم

١- هنترميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ٣٠٥.
٢- مسكويه: تهذيب الأخلاق، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ١٢.
٣- جميل صليبا: المرجع السابق، ص ٥٠.
٤- برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبدالكريم أحمد، مراجعة: حسن محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١١٠.
5- John Gueguen : Moral philosophy, General Ethics, Arnold Hall, 1999 ,p.,118.

بدراسة المواقف الأخلاقية الفعلية للشعوب المختلفة في أوقات وأماكن مختلفة، وتتأكد دراسة هذه المواقف من خلال الأفعال والمشاعر والمعتقدات، فالقيم الأخلاقية يجب أن تكون قيما مقارنة، أو ذات علاقات(١).

وعليه تضع الأخلاق قيودا وطرقًا للتمييز بين الإجابات المقبولة أخلاقيا والإجابات غير المقبولة أخلاقيا، وعدم وجود اتفاق على أفضل الحلول لا يعني عدم الاتفاق على حدود مقبولة أخلاقيا، فيميل معظم الناس بما فيهم الفلاسفة والأطباء، إلى الاهتمام أكثر بما هو مفيد ونافع للمجتمع، ومن المعتاد أن نبدأ بمثال بارز للغاية حول الخلاف الأخلاقي الذي لا يمكن حله وهو عملية الإجهاض، التي تم التعامل معها على أنها نموذج لأنواع القضايا التي يصدر فيها الأشخاص أحكاما أخلاقية، ويري الكثير من الفلاسفة أنه يمكن للأفراد أن يختلفوا في بعض الأمور الأخلاقية، حيث لا توجد إجابة صحيحة وفريدة لكل سؤال أخلاقي، فبعض الأسئلة الأخلاقية لها إجابات صحيحة وفريدة والبعض الآخر لا، وعليه فالمسائل التي يوجد فيها اتفاق أخلاقي تفوق بكثير المسائل التي يوجد بشأنها خلاف(٢).

ومن المعروف أن الإنسان يتميز بأنه كائن أخلاقي، وهذا السلوك السامي يجعل من الأخلاق طبيعة ثانية له، فهو وحده الذي يستطيع أن يضبط نفسه، هو الذي يوصف سلوكه بالصدق أو الكذب، وقد ذهب "كانط" إلى أن الأخلاق خاصية لسلوك الإنسان وحده دون غيره، والإنسان وحده الموجود الحامل للقيم الأخلاقية – كما يؤكد هارتمان– أنه الكائن الوحيد الذي لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم، وهذا ماعبر عنه "هيجل" في عبارته " الأخلاق طبيعة ثانية للإنسان؛ لأن طبيعته الأولى هي وجوده المباشر"، فغاية الأخلاق مثالية وهي السمو بالفرد نحو الكمال(٣).

1- A. P. Brogan: A Study in Statistical Ethics, International Journal of Ethics, Vol. 33, No. 2, 1923, pp., 119-120.

2- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, Oxford University Press, Second Edition,2006, p.,22.

٣- إمام عبدالفتاح إمام: الأخلاق والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٢.

ثم يرى "جيرت" أن الأخلاق تُعد صحيحة من الناحية العقلية؛ لأن كل سمة من سمات الأخلاق يجب أن تقدم هدفا وغايه، والحكم الأخلاقي المقبول عالميا يُعد صحيحا؛ لأن علاقة الأخلاق بالعقلانية تجعل من الممكن إصدار أحكام أخلاقية، وعليه تمنح الأخلاق نوعا من العالمية، ومع ذلك فإن الاعتراف بعقلانية الأخلاق وطابعها المنهجي قد يجعل بعض التناقضات واضحة في القرارات أو الأحكام الأخلاقية، فالنظام الأخلاقي وبعض الأحكام الأخلاقية للشخص قد لا تتفق مع أحكامه الأخلاقية الأخرى، والأحكام الأخلاقية المقبولة بشكل واسع قد تُخطئ أحيانا دون أن ننكر أنه يمكن للأخلاق تبريرها، خاصة عندما يتم الاعتراض على طرق التفكير، فقد يتم تضليل الناس من خلال أوجه التشابه والاختلاف في إصدار أحكام لا تتفق مع معظم أحكامهم الأخلاقية الأخرى(١).

وتجدر الإشارة هنا لبيان أن إحدى نقاط الاختلاف – كما يرى "جيرت" – بين الأخلاق والدين هي أن كل سمة وكل فعل في الأخلاق يجب أن يكون معروفا، ويمكن أن يختاره جميع الأفراد، أما الأديان فلها شرائع وأفعال لا يمكن اختيارها من قبل الأفراد، وقد نشأت الأحكام الأخلاقية من التمييز بين الأخلاق والدين، فهناك الكثير من الأديان، ولكن الأخلاق واحدة، وعليه أصبح من المعروف عالميا أن الأخلاق يجب أن تكون معروفة للجميع، فالبشر يعرفون نوع السلوك الذي تشجعه الأخلاق، أوتفرضه، أو تسمح به، أو تمنعه، أما الأديان فتصدر أحكاما بما يجب أن يقوم أو يؤمن به الناس(٢).

ومن الواضح أن فلسفة الأخلاق – كما أكد إريك فروم – تشكل المعايير التي تحقق الأفضلية في الحياة، ومن مبادئها أنها تركز على طبيعة الحياة بصفة عامة، والوجود الإنساني بصفة خاصة، وعلى الرغم من أن الإنسان يشارك أعضاء الجنس البشري في الصفات الإنسانية إلا أن له ذاتية متفردة، مختلفة عن كل إنسان آخر، إنه لا يستطيع أن يؤكد إمكانياته الإنسانية إلا بتحقيق فرديته، أي لابد أن يصبح الإنسان نفسه، فالخير في فلسفة الأخلاق هو تأكيد الحياة، وقوى الإنسان وفضيلته هي المسئوله تجاه وجوده(٣).

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,5.

2- Ibid., p.,6.

٣ - إريك فروم: الإنسان لنفسه، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ص ٣٩-٤٠.

ويعقب الباحث هنا بأن وجود نظام أخلاقي يُعد من الضرورات الحتمية لرقي وتقدم المجتمع البشري، فالنظام الأخلاقي يحتوي على قيم فاضلة ومبادئ سامية تكون أساسا لهذا التقدم، لأن حياة الأفراد لا تستقيم إلا بالقيم والمعايير الأخلاقية، فالقيم هي الأهداف المنشودة، كما أن الأحكام الأخلاقية تملك قيمة موضوعية بتحديدها للهدف من السلوكيات الإنسانية، غير أن وجود قواعد للنظام الأخلاقي عند التعامل مع المشكلات الأخلاقية اليومية يجعل النظام الأخلاقي مطبقًا بشكل دقيق.

ثانيًا- الأخلاق كنظام عام:

يرى معظم الفلاسفة أن الأخلاق هي رغبة الإنسان في كبح جماح غرائزه واستماعه إلى صوت باطني يهديه إلى الصواب، ويؤكد ريتشارد كمبرلاند أن صالح الكل هو أسمى مراتب الأخلاق، فالأخلاق تتطور بتطور المجتمع؛ لأنها ما دامت وليدة ذلك المجتمع فلا يعقل أن يتقدم هو وتقف هي مكانها جامدة لا تتحرك، ويسمون هذا الصوت أسماءً مختلفة، فتارة بالطبيعة وأخرى بالعقل، ومرة بالضمير[١] الذي يُعد في طبيعته غير متماثل، فهو يجب أن يقوى على أن يقول "لا"، ولابد لكي يقول لا من أن يكون واثقًا بصواب الحكم الذي تقوم عليه الـــ "لا"، ولايوجد الضمير إلاعندما يكون الإنسان قد علم أنه إنسان لا شيء ولا سلعة[٢].

ويشير "جيرت" إلى أن النظام الأخلاقي العام يحتوي على ميزتين؛ أولاً- إن كل الأفراد الذين ينطبق عليهم والذين يتم توجيه سلوكهم والحكم عليه من قبل هذا النظام، يجب عليهم فهمه، ومعرفة نوع السلوك الذي يحظره، أو يطلبه، أو يؤكده، أو يشجعه، أو يسمح به، ثانيًا- إن الأخلاق نظامٌ عامٌ، بحيث لا يستطيع الفرد تركها؛ لأنها حاسمة وجميع الناس يخضعون لها، وذلك لكونهم أفرادًا يمكنهم التحكم في تصرفاتهم[٣]، وهنا نشير إلى رأي كانط الذي فرق بين نوعين من السلوك، سلوك الدافع الذي يقوم به الفرد

١- ذكي نجيب محمود: فلسفة الأخلاق، مجلة دراسات تربوية، رابطة التربية الحديثة، مجلد ٣، الجزء ١٣، ١٩٨٨، ص ٨، ص ١٠.

٢ - إريك فروم: المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، علي مولا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٨٩.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,11.

في وقت ولا يقوم به في وقت آخر، ويؤديه وينصرف عنه مرات حسبما يظهر هذا الدافع أو يختفي، وسلوك الواجب ويُقصد به ذلك النوع من السلوك الذي يقوم به الفرد متبعًا فيه قواعد الأخلاق دائمًا دون انقطاع، ولا يكون في هذا موقوتًا بميعاد ولا مشروطًا بشرط[١].

فالنظام الأخلاقي العام نظام يراعي كل الأفراد الذين ينطبق عليهم، أي الأفراد الذين يسترشدون به في سلوكهم ويحكمون عليه، والمثال الذي يطبق على النظام العام، هو أن أية لعبة تحتوي على هدف جوهري، ومجموعة من القواعد تشكل نظاما يفهمه جميع اللاعبين، وعلى الرغم من أن اللعبة نظامٌ عامٌ، إلا أنها تنطبق فقط على من يلعبون اللعبة، كذلك الأخلاق نظام عام ينطبق على جميع النظم الأخلاقية، وجميع الناس يخضعون له بحكم كونهم أفرادًا مسئولين عن أفعالهم[٢]، والقواعد الأخلاقية تُشكل من خلال الأحكام الأخلاقية على الأفعال مجالا مستقلا عن المجالات النفسية والاجتماعية لتلك الأفعال، فهي تعطي بيانات عن الخير والشر، والصواب والخطأ، فالأفعال هي جزء من عالم القيمة[٣]، غير أن الأخلاق عند "ديوي" إنسانية تنبع من صميم الحياة التي نعيشها، وهي اجتماعية لا تحصر السيرة الفاضلة في داخل الفرد، هي أخلاق يمكن بحثها علميا، ويمكن ضبطها وتوجيهها[٤]، والحقائق أو المعتقدات المعروفة يمكن أن تكون ضرورية لمعرفة أنواع الأعمال التي تحظرها الأخلاق أو تتطلبها[٥].

غير أن النظرية الأخلاقية عند "جيرت" هي محاولة لتوضيح وشرح لما يجب أن يقوم به الناس، فهي تقرر كيفية التصرف عند مواجهة المشكلات الأخلاقية، وكيف يتم إصدار أحكام أخلاقية؟، يجب أن تقدم النظرية الأخلاقية الدلائل الأخلاقية التي تستخدم مفاهيم أو مبادئ مفهومة من قِبل كل فرد خاضع للحكم الأخلاقي، وهنا نؤكد أنه عندما يتم للإنسان الوعي بالذات، فإنه لا يكون في طريقه لمعرفة حقيقة ذاته فقط، بل وحقيقة العالم

---

١ - يحيى هويدي: نحو الواقع (مقالات فلسفية)، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٩٠.

2- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, Pp.,23-24.

3- Paul Clough: The Relevance of Kinship to Moral Reasoning in Culture and in the Philosophy of Ethics, Social Analysis: The International Journal of Anthropology, Vol. 51, No. 1 2007, p., 136.

٤- أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص ص ١٢٥-١٢٦.

5- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,24.

أيضًا، ومن خلال الإدراك يقوم بالفعل، أي أن الإنسان سيحاول وضع الحقيقة في الفعل، أي تحقيق وعي الذات، فالإنسان يتغير في مجرى التاريخ، إنه يطور نفسه، ويصنع تاريخه وبالتالي فهو نتاج ذاته، والتاريخ هو تاريخ عملية تحقق ذات الإنسان(١).

إن النظم العامة الرسمية هي تلك التي يوجد فيها تفعيل للقرار، وتشمل سلطات – مثل القضاة أو الحكام أو المراجعين أو المستشارين– تحل جميع المسائل المتعلقة بتفسير قواعد النظام وكذلك جميع الخلافات الأخرى بين أولئك الذين ينطبق عليهم النظام، أما الأنظمه العامة غير الرسمية فتفترض اتفاقا مسبقا حول تفسيرها، وعندما يصبح من المهم تسوية جميع الخلافات، تميل النظم العامة إلى أن تصبح رسمية، وعندما يكون من الضروري تسوية الخلافات تستخدم المجتمعات النظم السياسية والقانونية لتكملة الأخلاق، فالسؤال الذي يعد غير قابل للحل أخلاقيا، ينتقل إلى النظام السياسي أو القانوني(٢)، فالحقائق الأخلاقية تتعامل مع قضايا جوهرية، والقواعد الأخلاقية تنص على وجود علاقة بين الأفراد وليس علاقة بين المكان والزمان بمعنى أننا يجب أن نتكلم عن الحقيقة؛ لأن المعرفة الأخلاقية تتطلب التفكير بشكل واعي مع الاهتمام بالإفتراضات العامة التي تكون أساس أي نظام أخلاقي(٣).

فكل شخص يخضع للحكم الأخلاقي يجب أن يعرف ما يحظره، وما يطلبه، ويشجعه، ويسمح به، بالطبع إن بعض الناس أفضل في التعامل مع المشكلات الأخلاقية من غيرهم، ويرجع ذلك إلى تدريبهم وتجربتهم، وذكائهم وحسن تقديرهم، إلا أن المهمة الأساسية لجميع الفلاسفة بما فيهم الأخلاقيون هي التوضيح، وتقديم تبرير لوجهة نظرهم(٤)، فالرضا بالذات هو الفرح الناجم عن قدرة الإنسان الشخصية على الفعل، لكن قدرة الإنسان الحقيقية على الفعل أو فضيلته هي العقل ذاته، وعليه فإن الرضا بالذات يتولد من العقل، وعندما يرى الإنسان ذاته بوضوح وتميز، أعني بصورة تامة فهو

---

١ - إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٤٥.

2- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,11.

3- Arthur James Balfour: The Philosophy of Ethics, Mind, Vol. 3, No. 9, 1878, pp.74-75.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,12.

لايدرك شيئًا غير ما ينتج عن قدرته الشخصية على الفعل، وبالتالي قدرته على الفهم[١]، فالذات الإنسانية أهم الممتلكات القيمية، حتى وإن لم يمتلك الفرد المال إلا أنه يمتلك ذاته الفردية، وقيمة الفرد الشخصية تحتوي على عوامل التحرر التي تمنع التطور المستقل للفرد، ومعرفة الذات تساعد على إدراك المرء للحقيقة وتطورها، فهي ذات إنسانية ذات قيمه عالية[٢].

ويعترف "جيرت" بأن المشكلات الأخلاقية تتطلب معرفة بالأخلاق المشتركة والواجبات والمُثل، وقد يبدو أن هذه الواجبات والمثل تتعارض مع متطلبات الأخلاق المشتركة، لكن الفهم الصحيح يؤكد أن النظام الأخلاقي يوفر طريقة للتعامل مع تلك النزاعات بالطريقة نفسها التي تخدم هذه النزاعات ضمن الأخلاق المشتركة، فمعظم النظريات الأخلاقية نظريات تقدم صورة واضحة للغاية عن الأخلاق، كما ينظر الكثير من الفلاسفة إلى نظرياتهم الأخلاقية على أنها أخلاق جديدة وحسنة[٣]، غير أنه يجب على فلاسفة الأخلاق توضيح طبيعتها وإظهار أن لها ما يبررها، لكن أولئك الذين لديهم معرفة أفضل بالحقائق ذات الصلة وخبرة أكبر بهذا المجال هم أكثر خبرة لاتخاذ أفضل القرارات الأخلاقية، وحتى في حالة أن يكون الجميع متفقين على الحقائق، سيظل هناك بعض الخلاف الأخلاقي الذي لا يمكن حله[٤]، فالمعرفة الأخلاقية لا يمكن أن تكون مجرد معرفة إدراكية، أو عرفانية صرفة، بل لابد أن تتخذ طابع المعرفة العملية التي تحفل بالشحنات الوجدانية، فكما أكد شوبنهور أن الأخلاق لا تُملي علينا أي شيء، ولكن من المؤكد أن الأخلاق تعلمنا ما هو الخير[٥].

وعادة ما توصف الأخلاق بأنها تفسر الكثير من القواعد التي يوافق عليها الجميع وتنطبق عليهم، فجميع البالغين يُنظر إليهم على أنهم يعرفون ما تحظره الأخلاق، وتطلبه، وتشجعه، وتسمح به، كما يمكن تفسير لماذا يُعتقد أنه من المنطقي أن يتخذ أي شخص

١ - اسبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة، جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، د.ت، ص ٣١٥.
٢ - إريك فروم: فن الوجود، ترجمة: إيناس نبيل سليمان، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ص ١٣٦-١٣٧.
3- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,25.
4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,12.
٥ - زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، ١٩٦٦، ص ٤٦.

الأخلاق كدليل؟؛ لأن الأخلاق كنظام عام تنطبق على جميع الأفراد، وهي حاسمة ولا مفر منها، ولا يمكن لأحد أن يختار الخروج عنها، وسيستمر الآخرون في الحكم على الفرد أخلاقيا، فالأفراد لا يريدون للآخرين فقط أن يتخذوا الأخلاق دليلاً لسلوكهم، بل يريدونهم أن يتصرفوا أخلاقيا، وهذا ما جعل السؤال لماذا يجب أن أكون أخلاقيا؟ سؤالا حقيقيا ومعترفا به من قِبل الجميع(١)؛ لأن الأخلاق تفكير منظور دائب الاتصال بنشاطي النظر والعمل، والقول والفعل، فهي إعمال النظر في الأخلاق العملية، والأخلاق على صعيد الفكر هي وعي وفهم وسلوك، وإنفاذ غرض مهم، ومسئولية شاملة النظر والعمل(٢).

وعلى هذا فالأخلاق تعد دليلاً يتخذه كل فرد لسلوكه، وهي نظام عام ينطبق على جميع الأفراد، وعليه تتضمن الأخلاق كل ما ناقشه أفلاطون وأرسطو وكانط، فهي لا تشمل السلوك الذي يؤثر على الآخرين فحسب، إنما تشمل أيضا السلوك الذي يؤثر على الشخص نفسه، فتعزيز الخير لنفسك، ومنع الشر عن الآخرين أمور أخلاقية، ويؤكد "جيرت" هنا أن رأيه مثل رأي هوبز ومل أن الأخلاق تعمل على منع الضرر الذي يتعرض له الآخرون، فالأخلاق بالنسبة له لا تنطبق على السلوك الذي يؤثر على الشخص فقط، بل السلوك الذي يؤثر على الآخرين، ويعزز المنافع والمساعدة، ويمنع الأضرار والأذى، فالأخلاق لها نتائج عملية ونظرية تؤدي إلى جعل الأفراد يتداخلون في سلوكهم، أو يشعرون بأنهم ملزمون أخلاقيا بمساعدة الآخرين(٣).

ومن الأهمية بمكان تأكيد أن الضمير الإنساني له دور مهم في النظم الأخلاقية فهو الصوت الداخلي الذي يدعونا إلى النظر داخل ذواتنا، فالنفس هي جوهر الإنسانية المشتركة، وهي من الخصائص الأساسية للإنسان، ولا يمكن أن تنفك عنه، فأسمى شيء هو الطبيعة الإنسانية، فالضمير محك مهم بالنسبة للموقف الأخلاقي الذي يعبر عنه(٤)؛ لأنه محكمة كبرى ترجع إليها كل أعمال الإنسان الخارجية، وهو ابن الحياة الاجتماعية،

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,12.

٢- أبو النور حمدي أبوالنور: يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، دار التنوير، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، ص ٢٣٩.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,13.

4- Erich Fromm :The Dogma of Christ, Holt, Rinehart and Winston, New York, first Edition, 1963, pp., 170-171.

فالإنسان يمتلك شخصيتين إحداهما ذاتية، والثانية قومية، وبمقتضى الشخصية الثانية، كان على الإنسان أن يفعل دون أن يضر بمصالح الآخرين التي هي مصالحه في الوقت ذاته، ويؤكد روسو أن الضمير غريزة وفطرة إلهية في الإنسان[١]، والحكم الأخلاقي عموما حكم على الصواب والخطأ، أو ما يجب أو لا يجب أن يفعله فرد ما أخلاقيا، أو حول ما إذا كان شخص ما يتصرف بشكل صحيح أم لا، فيجب أن تكون الأخلاق شاملة لجميع المجالات حين تطبيقها[٢].

ويؤكد "جيرت" أن الأخلاق لها مضمون ومميزات، وأنها ليست مجرد نظام ينطبق على جميع الأفراد، ولا تتعلق بالسلوك الذي يؤثر على الآخرين فقط، إنما تهدف لتقليل الشر والضرر والأذى، وإذا كان النظام الأخلاقي العام الذي ينطبق على جميع الأفراد لا يحتوي على هذا الهدف، فعندئذ لا يُعد نظاما أخلاقيا، علاوة على ذلك، فإن الأخلاق المشتركة يجب أن تشمل القواعد الأخلاقية والمثل العليا والفضائل المقبولة بشكل عام[٣]، فالخير ما نعلم علما يقينا أنه ينفعنا، والشر على العكس ما نعلم علما يقينا أنه يحول دون فوزنا بخير ما، فنسمي خيرا أوشرا ما يكون نافعا لحفظ وجودنا أو ضارا به، أي ما يزيد أو ينقص ويساعد أو يعوق قدرتنا على الفعل[٤].

إن مبررات النظام الأخلاقي العام الذي يشمل القواعد الأخلاقية والمثل العليا والفضائل، هي التي تُعد حقا مبررا للأخلاق، فعلى الرغم من عدم وجود اتفاق بشأن ما يُعد قاعدة أخلاقية، فإنه لا أحد ينكر أن القتل والغش والكذب أفعال محظورة بموجب القواعد الأخلاقية، كما أنه لا أحد ينكر أن تخفيف الألم ومنعه هما مُثُلٌ أخلاقية، أو أن الكرم والصدق والأمانة فضائل أخلاقية[٥]، فالأخلاق تعبر عن اهتماماتنا، وأنها شكل منظم اجتماعيا تتشكل من خلاله سلامة كياننا ونوعية تعاملنا مع العالم ومع الآخرين،

---

١ - منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٣م، ص ص٢٢٨-٢٣٠.

2- R. S. Downie: Ethics, Morals and Moral Philosophy, Journal of Medical Ethics, Vol. 6, No. 1, 1980, p.,33.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,13.

٤ - اسبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، سبق ذكره، ص ٢٣٣، ص ٢٤٠.

5- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,13.

فعالم الأخلاق يلتزم بقيمة الواجب بشكل كبير، والنظريات الأخلاقية تنطوي على الإيمان بالقيم النهائية[١]، وبالنظر إلى الإنسان من بين سائر الموجودات فإنه فاعلٌ حرٌ؛ إذ تصدر أفعاله العقلية والإرادية لتحقيق غاية، أو بلوغ قيمة أو أداء واجب، والقوة المحركة للإنسان هي التوتر الذي يشعر به الإنسان بين ما يمكن، وما ينبغي الحصول عليه، وهذا التوتر هو الذي أعطى الإنسان المعنى الأخلاقي؛ إذ إنه يراقب أهواءه ونزعاته وميوله، ويتم ذلك بواسطة الضمير الذي يُعد في صميمه ضربًا من الرقابة على نشاطنا[٢].

ويُعلق الباحث هنا بأن النظام الأخلاقي العام لابد وأن يراعي مصالح جميع الأفراد الذين ينطبق عليهم، والذين يسيرون في سلوكهم وفقا له، فجميع الناس يخضعون للأنظمة الأخلاقية بحكم أنهم مسئولون عن أفعالهم وتصرفاتهم؛ لأن المعارف الأخلاقية تتطلب التفكير بشكلٍ واعٍ ومنظم، وتعبر عن اهتماماتنا ورغباتنا، وتشكل سلامة الفرد والمجتمع، وتجعلنا أكثر التزاما بالواجبات والقيم.

ثالثًا- الأخلاق المشتركة:

ترتبط النظرية الأخلاقية بسلوك الإنسان، واكتشاف أرضية للفعل، أو مثال نظري للواجب الذي لا يكون له معنى إلا من قِبل الفرد والمجتمع، فإذا كان هدفنا في فلسفة الأخلاق اكتشاف نظرية حقيقية للممارسة، فإن مسعانا الرئيسي يجب أن يكون تطبيق النظرية[٣]؛ لأن الأخلاق المشتركة هي إطار يسمح للأفراد المختلفين بعرض وجهة نظرهم الخاصة بـــ ١- نطاق الأخلاق، ٢- بيان الفوائد والأضرار ٣- عرض النتائج المفيدة والضارة للجميع مع العلم أن نوعا معينا من الانتهاك مسموح به، ٤- تفسير القواعد، فعندما يقوم الفرد بتضمين وجهة نظره حول هذه الأمور في الإطار الأخلاقي المشترك، فسوف ينتج عن النظام الأخلاقي تلك القرارات والأحكام الأخلاقية التي يقبلها

1- Stan van Hooft: Bioethics and Caring, Journal of Medical Ethics, Vol. 22, No. 2, 1996, p.,86.

٢ - مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ص ٨٣-٨٤.

3- William Knight: Practical Ethics, International Journal of Ethics, Vol. 4, No. 4., 1894, p., 481.

الفرد، على الأقل بعد التفكير، وإذا لم يحدث ذلك، فعندئذ سيكون مخطئا، ويتعين إعادة النظر في الأحكام الأخلاقية[١].

ويُقر "جيرت" بأن وجود الأخلاق المشتركة يتضح من خلال الاتفاق على معظم المسائل الأخلاقية، فيتفق الجميع على أن أعمال مثل القتل، والتسبب في الألم، والخداع، وعدم الوفاء بالوعد، وخرق القانون، كلها أمور غير أخلاقية ما لم يكن هناك مبرر لذلك، والجميع يتفق على أن ما يعد مبررا مناسبا لفرد يجب أن يكون مبررا مناسبا لأي فرد آخر في المواقف نفسها عندما تتوفر الظروف نفسها، وهذا جزء من المقصود بالقول إن الأخلاق تتطلب الحياد[٢]، ويجب التأكيد أنه ليس هناك حقيقة أخلاقية مطلقة، أي ليس أحد الأطراف على حق والآخر على باطل، فكل منهما قد يكون على حق لكنهما مختلفان، فالمقاييس الأخلاقية يمكن أن تختلف باختلاف الأفراد[٣].

ويكشف "جيرت" أن الجميع يتفقون على أن بعض الأشخاص مثل المتخلفين عقليا، يجب ألا يخضعوا لحكم أخلاقي إذا كانوا لا يعرفون ما أنواع السلوك التي تحظرها الأخلاق(مثل الغش)، وعلى الرغم من أنه من الصعب تقديم حساب دقيق وشامل للأخلاق، إلا أن الجميع يعلم ما إذا كان هناك فعل معين مقبول أم لا، فلا أحد يشارك في مناقشة أخلاقية لأسئلة، مثل هل من المقبول أخلاقيا خداع المرضى من أجل حملهم على المشاركة في علاج تجريبي ليس لديهم أمل في الاستفادة منه؛ لأن الجميع يعرفون أن هذا الخداع ليس له ما يبرره، وعلى الرغم من أن انتشار النفاق يوضح أن الناس لا يتصرفون دائما بالطريقة التي تتطلبها الأخلاق أو تشجعها، إلا أن من يخضع للحكم الأخلاقي يعرف أنواع الأعمال التي تطلبها وتشجعها وتسمح بها الأخلاق أو تحظرها، وهذا جزء من المقصود بالقول إن الأخلاق نظام عام[٤].

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, Oxford University Press, 2004,p.,20
2- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, pp.,22-23.
3- David Capps , Michael p. Lyncn , and Daniel Massey : "A coherent moral relativism ", philosophers of Arabs, in synthese,2009, p.,414.
4- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,23.

ويستكمل "جيرت" حديثه بأنه عندما يحاول الناس حل مشكلة أخلاقية أو إصدار حكما أخلاقيا فإنهم يستخدمون النظام الأخلاقي الذي يجب أن يطبقوه بوعي من أجل الوصول إلى قراراتهم وأحكامهم الأخلاقية، فالتطبيق الصريح لهذا النظام الأخلاقي على أية مشكلة أخلاقية لن يصنف على أنه عمل غير أخلاقي؛ ونظرا لأن الأخلاق تسمح بأكثر من إجابة مقبولة أخلاقيا لبعض المشكلات الأخلاقية، بالتالي فجيرت لا يدعي أن التطبيق الصريح لهذا النظام الأخلاقي سيستبعد جميع الأحكام الأخلاقية غير الصحيحة التي تتعارض مع الشخص[١]؛ لأن الأخلاق تعبر عن الإرادة اللامتناهية، ليس فقط في ذاتها، بل أيضًا من أجل ذاتها، في مقابل الوجود الضمني للإرادة ومباشرة الخصائص المتعينة المتطورة، فهذا الانعكاس للإرادة على نفسها ووعيها الصريح بهويتها ينقلنا من الشخص إلى الذات[٢].

ثم يذهب "جيرت" إلى أننا ندرك أن الكثير من الناس يعتقدون أنه لا يوجد اتفاق على المسائل الأخلاقية؛ لأنها تنطبق على سلوك الفرد تجاه نفسه والآخرين، إنه من غير الأخلاقي أن تخدع نفسك أو ألا تفي بوعدك، فإيذاء نفسك أو الآخرين دون سبب ليس بالأمر الأخلاقي ولا العقلاني[٣]، فالنظرية الأخلاقية توضح وتفسر ما إذا كان ممكنا تقديم مبررات أخلاقية أم لا، والنظام الأخلاقي نظام يستخدمه الناس، عندما يحاولون اتخاذ قرارا مقبول أخلاقيًا بين الكثير من الخيارات البديلة أو عندما يصدرون أحكاما أخلاقية بشأن تصرفاتهم الخاصة أو تصرفات الآخرين[٤].

ويرى الباحث هنا أنه لابد من وجود أخلاق عامة مشتركة ينطلق منها جميع أفراد المجتمع، وتكون هي المرجع في حالة وجود اختلافات؛ لأن النظريات الأخلاقية مرتبطة بشكل كبير وواضح بسلوك الإنسان، ولا بد من حقيقة ينطلق منها الفرد ويرجع إليها المجتمع، أي لابد من وجود تطبيقات وممارسات لتلك الأخلاق العامة، غير أن الأخلاق المشتركة هي مجال يسمح للأفراد بعرض وجهات نظرهم الخاصة، والأنظمة الأخلاقية

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,4.

٢ - هيجل: أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، الجزء الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٦٢.

3- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,21.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,3.

عموما ينتج عنها اتخاذ قرارات وأحكام أخلاقية يقبلها الجميع، فكل فرد يخضع لنظام أخلاقي يعرف القواعد التي يتطلبها ويشجعها، ويسمح بها هذا النظام، وكذلك يعرف ما يحظره أو يمنعه.

رابعًا- النظريات والقواعد الأخلاقية:

يبدأ "جيرت" بالتأكيد أن النظام الأخلاقي هو مجموعة من القواعد والمثل العليا الأخلاقية، وهو يتضمن إجراء خطوتين لتحديد ما إذا كان يجب السماح بانتهاك قاعدة أخلاقية أم لا، تتمثل الخطوة الأولى في: تحديد الوصف الصحيح للانتهاك، وتتمثل الخطوة الثانية في: تقدير الآثار المفيدة والضارة لكل شخص يدرك أن الانتهاك الموصوف عن طريق الخطوة الأولى مسموح به، فالقواعد والمثل الأخلاقية هي السمات الرئيسة للنظام الأخلاقي المشترك، فإذا كان الوصف الخاص بالأخلاقيات المشتركة صحيحا، فسيكتشف الذين يطبقونه على المشكلات الأخلاقية أنهم يوافقون على القرارات والأحكام الأخلاقية التي تنتج عن ذلك، وهذا لا يعني أن كل من يطبق هذا النظام الأخلاقي بشكل صحيح سوف يتخذ القرارات نفسها والأحكام الأخلاقية؛ لأن هناك قدرًا من الاختلافات الأخلاقية[١].

وسعت النظرية الأخلاقية لتقدم نظرة ورؤية واضحة للأخلاق، بما في ذلك أشكالها وجوانبها المختلفة، فالنظريات الأخلاقية المعيارية، مثل نظريات هوبز وكانط وميل، تقدم مخططًا للنظام الأخلاقي، فالأخلاق معروفة لكل أولئك الذين أصدروا بشأنها أحكامًا بشكل صحيح، إلا أنها مع ذلك أكثر تعقيدًا مما عرفه معظم الفلاسفة، هذا التعقيد لا يتعارض مع كونها مفهومه من قِبل الجميع، لكن يجعلها أقل عرضة للانتقادات التي غالبا ما تثار ضد الفلاسفة[٢]، وبناء عليه فإن الأخلاق والقيم تحددها معايير موضوعية، ومعايير حتمية، وتاريخية واجتماعية، وما على الفرد إلا أن يعكسها ويتمثلها، أما إذا تمرد الإنسان على

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, p.,19.
2- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,6.

تلك القيم وأبدع قيما جديدة فإنه لا يمثل الموضوعية، فحيوية المبادئ الأخلاقية تُحدد بقدر ما تعكس الميول الموضوعية، وبقدر ما تعمق الصلة الاجتماعية بين الناس[١].

ومن المعروف أن النظريات الأخلاقية تُستخدم لوضع أدلة للسلوك، وتهدف إلى تعديل الأخلاق، هذه الأدلة الأخلاقية التي يتم إنشاؤها بواسطة النظريات المعيارية التبادلية والتعاقدية وأخلاق الواجب، هي أبسط بكثير من النظام الأخلاقي الموحد؛ ونظرًا لأن الفلاسفة الذين طرحوا وأثاروا هذه النظريات عادة ما يرفضون الأخلاق المشتركة بوصفها متداخلة ومتشابكة، فهم لا يدركون التعقيد الذي ينطوي علي اتخاذ القرارات والأحكام الأخلاقية، وليس من العجيب أن الكثير من الأفراد يأخذون الأخلاق على محمل الجد، ويحاولون تطبيقها على المشاكل الحقيقية التي يواجهها الناس بالفعل، وينتقدون بشدة النظريات الأخلاقية التي اقترحها الفلاسفة[٢]، فالأخلاق تُعين لنا الوسائل التي يجب استعمالها لكي تتطابق الوسائل مع الغايات، وتعيننا على فهم الحياة، وتساعدنا على النظر في النظم لإبقاء ما يصلح منها، وإصلاح الفاسد، وتبين المقياس الذي به نحكم على الأعمال ونهتدي به إلى ميولنا وأفعالنا، فالأعمال الأخلاقية وسيلة يحاول بها الإنسان أن يصل إلى غاية، وهي تحقيق السعادة[٣].

ثم يُبين "جيرت" أن النظام الأخلاقي يستبعد جميع الأحكام التي لا تعد أحكامًا أخلاقية، لأن الأخلاق لا تقرر القضايا المثيرة للجدل، بل توضح وتظهر أن كلا الجانبين في النزاع قد يكون له مواقف مقبولة أخلاقيا، وعلى الرغم من أن جميع الأفراد يتفقون في جميع المواقف العادية بشأن ما يجب القيام به أخلاقيا، إلا أن الأخلاق تسمح ببعض الاختلافات، ويقُر "جيرت" بأن أية نظرية أخلاقية تقوم بتفسير الأخلاق وتبررها يجب أن تحتوي على رؤية محددة لمفاهيم العقلانية والموضوعية، ويجب أن تعترف بسمات الطبيعة البشرية، وأن تُظهر السمات والطرق والأساليب التي يقوم عليها التفكير الأخلاقي، كما أنه بمجرد وصف طبيعة الأخلاق وإظهار علاقتها بالطبيعة الإنسانية، يصبح النظام

١- حسن الكحلاني: الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م ، ص ٣٣٦.

2- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,6.

٣- مسكويه: تهذيب الأخلاق، سبق ذكره، ٤٥٤ ص، ص ٤٧٤.

الأخلاقي دليلاً عامًا، علاوة على ذلك فإن اختبار أي نظام تم إنشاؤه هو تحديد ما إذا كان سيعطى قرارات وأحكامًا تقدم النفع وتمنع الضرر أم لا[١].

ومن هذا المنطلق لابد من فهم الطبيعة الإنسانية التي تُبنى على تحليل حاجات الإنسان النابعة من ظروف وجوده، وهذه الحاجات هي: الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى الارتباط بالجذور، والحاجة إلى الهوية، والحاجة إلى إظهار توجهه، وهذه الحاجات الإنسانية والموضوعية أصبحت جزءًا من طبيعة الإنسان خلال التطور والارتقاء، فجوهر الشخصية الإنسانية هو الميل إلى وضع الطبيعة الإنسانية موضع التحقيق والتنفيذ، والسمة الأساسية للطبيعة الإنسانية هي مقدرتها على معرفة ذاتها ومعرفة ما ليس منها، أو ما هو مختلف عنها[٢].

ويستنتج "جيرت" أن هناك عشرة قواعد أخلاقية عامة تشمل الأعمال المهمة والمطلوبة، وكذلك الأعمال المحظورة أخلاقيًا، وهي توضح جزءًا من النظام الأخلاقي الذي يبرر السلوك الأخلاقي، وقد صيغت لتضع وصفًا واضحًا وقابلاً للاستخدام لهذا الجزء من النظام الأخلاقي، وهذه القواعد هي: ١-لا تقتل، ٢-لا تخدع، ٣-لا تسبب الألم، ٤- أوف بعودك، ٥-لا تعطل، ٦-لا تغش، ٧-لا تحرم من الحرية، ٨-أطع القانون، ٩-لا تحرم من المتعة، ١٠-افعل ما يمليه عليك ضميرك، فكل هذه القواعد تحظر أي تقصير، أو أية محاولة لانتهاك قاعدة ما، فمثلا التصرف المتعمد من أجل أن يعاني شخص ما من ضرر يعد انتهاكًا لهذه القواعد، وكل هذه الانتهاكات غير أخلاقية ما لم يكن لدى الفرد تبرير مناسب للانتهاك عن عمد، أو غير عمد، أو حتى عن غير إدراك[٣].

كما يمكن أن تندمج القواعد الخمسة الأولى في قاعدة واحدة، لا تسبب ضررا، لكن هذا سيعطي انطباعًا خاطئًا بأن الأضرار هي فئة متجانسة يمكن تصنيفها على مقياس واحد، وكذلك لن يكون من المفيد طي كل القواعد الخمسة الثانية في قاعدة مثل لا تنتهك

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,4,p.,7.

٢ - إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعد زهران، تقديم: لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٠، الكويت، ١٩٨٩م، ص ص ٧ : ١١.

3-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,20-21.

الثقة؛ لأن وجود عدة أنواع مختلفة من الأضرار يجعل من الصعب تصنيف جميع الآلام بالطريقة نفسها، فوجود قاعدة واحدة تحظر التسبب في جميع الآلام، إلى جانب وجود قواعد تحظر التسبب في كل نوع من أنواع الضرر لا يوحي بأن الجميع يوافق على تصنيف الأضرار، ولكنه يسمح بخمسة قواعد لحظر التسبب في جميع الأضرار الأساسية، فأول خمسة تحظر مباشرة التسبب في جميع الأضرار الأساسية، والثانية تحظر تلك الأنواع من الإجراءات التي تسبب بشكل غير مباشر هذه الأضرار نفسها[١].

علاوة على ذلك، فانتشار الكثير من الأخطاء الأخلاقية يجعلها تتعارض مع النظام الأخلاقي ككل، وهنا تظهر أهمية الأخلاق المشتركة، وأنها نوعٌ من النظام الذي يعطى جميع الأفراد الحق في الاتفاق على القيود المناسبة للمعتقدات التي يفضلون تبنيها واتخاذها، فوصف وتبرير الأخلاق المشتركة سببٌ كافٍ لإظهار أن الأخلاق عالمية وتقدم دحضًا قاطعًا لأي شكل من أشكال العدمية الأخلاقية أو النسبية أو الشكية، فالنظام الأخلاقي يتم تطبيقه على المشكلات الأخلاقية التي تنشأ في جميع مجالات الحياة، والنظرية الأخلاقية تضع وصفًا واضحًا للأخلاق، بحيث يمكن تطبيق النظام الأخلاقي على مواقف جديدة وصعبة[٢]، فالأخلاقيات وكل الأيديولوجيات وأشكالها المتطابقة مع الوعي لا تحتفظ بمظهر الاستقلال، غير أن الناس وهم يطورون إنتاجهم وتفاعلهم المادي يُغيِّرُون – مع هذه الأمور – تفكيرهم[٣].

فالنظرية الأخلاقية تبرر استخدام الأخلاق لتحديد السياسات التي يجب تبنيها، والإجراءات الواجب اتخاذها، والأحكام التي يجب إصدارها، وهكذا فالنظرية الأخلاقية ليست مجرد تأسيس نظري فقط، بل لها نتائج عملية، وهذه النتائج مباشرة وغير مباشرة، والأخلاق هي التي تفسر وتبرر القرارات الأخلاقية حول ما يجب القيام به، وتُصدر الأحكام الأخلاقية على تصرفات الآخرين ونِيَّاتهم ودوافعهم وشخصيتهم[٤]، وهكذا

1-Ibid., pp.,21-22.

2- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,8.

٣ - أوجين كامنكا: الأسس الأخلاقية للماركسية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م ، ص١٨٢.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,8.

فالأخلاق تجعل الإنسان اجتماعيا، وألوان الشدة والتوتر التي تتصل بها القواعد الأخلاقية راجعة إلى أن الطابع الاجتماعي للنوع البشري طابع جزئي، غير أن جزءًا أساسيًا من الخير العام يتكون من السماح للأفراد بشيء من الحريات التي لا تضر بالآخرين(١)، وبناء على هذا هناك اهتمام كبير بالفضائل، وقد ظهرت نظريات حديثة طرحت مجموعة من الشروط يجب أن تتحقق لكى نصف السلوك الأخلاقي بالفاضل، ونصف الفعل بالصواب أو الخطأ؛ لأن الفضائل تؤدي للوصول إلى الحق(٢)، وهي التي يتمتع بها الفرد ويحتاج دائما العمل على تنميتها؛ لأنها تجعله يعيش الحياة بشكل أكثر سعادة(٣).

ثم يعترف "جيرت" بأنه يجب أن تكون هناك قواعد للنظام الأخلاقي الذي يستخدمه الأفراد عند التعامل مع المشكلات الأخلاقية اليومية، فالهدف من جعل النظام الأخلاقي واضحا هو جعله مفيدا لهؤلاء الأشخاص عندما يواجهون مشاكل أخلاقية جديدة أو صعبة أو مثيرة للجدل، كما أن الحساب النظامي للأخلاق يوفر إجابة لكل مشكلة أخلاقية، ولا ينبغي أن يكون لكل مشكلة أخلاقية حل واحد أفضل، أي حل يفضله جميع الأفراد المطلعين بحيادية على كل الحلول الأخرى(٤)؛ ونظرا لأنه يمكن إصدار أحكام أخلاقية بشأن جميع الأفراد، فإنه يترتب على ذلك أن الأخلاق عالمية، وأن ما يبدو أنه نُظم أخلاقية مختلفة هي مجرد أنواع أو أشكال مختلفة من الأخلاق العالمية أو النظام الأخلاقي(٥).

ويتفق الباحث مع "جيرت" في أن النظريات الأخلاقية تُستخدم لوضع قواعد وشروط للسلوك الإنساني تهدف لتعديل المستويات الأخلاقية في المجتمع، فالقواعد الأخلاقية لابد أن تكون متطابقة مع النظام الأخلاقي العام؛ لأن النظام الأخلاقي يتم تطبيقه على المشكلات الأخلاقية التي تنشأ في المجتمع، والنظرية الأخلاقية ليست مجرد تأسيس

١- برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، سبق ذكره، ص ١١٤.

2-**Jason Kawall : in Defense of the primacy of the virtues, Journal of Ethics and social philosophy, vol.3, no.2, 2009, p.1.**

3- **Ronald sandler : what makes a character trait a virtue?, the Journal of value inquiry, 2005, p.383.**

4- Bernard Gert: Bioethic: A Systematic Approach, p.,22.

5- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,4.

نظري، بل لها تطبيقات وممارسات عملية، لأنها تقرر ما الذي يجب تبنيه، والإجراءات الواجب اتخاذها، والأحكام التي يجب إصدارها، وبشكل عام وضعت النظريات والقواعد الأخلاقية للعمل على إظهار الفرد والمجتمع في أفضل صورة ممكنة، وبما يحقق الصالح العام للجميع.

خامسًا- الخصائص العامة للقواعد الأخلاقية:

يُعلن "جيرت" أن القواعد الأخلاقية تطبق على جميع الأفراد الذين يعرفونها، ويمكنهم توجيه مجرياتها، وفقا لذلك فهؤلاء الأفراد أخلاقيون، غير أن الجميع لا يوافق على إصدار أحكام أخلاقية على الأفراد الذين لا يخضعون لنظام أخلاقي، فالرضع، والذين يعانون من تخلف شديد، والذين يعانون من اضطرابات نفسية، لا يخضعون لأحكام أخلاقية، أما الأطفال الأكبر سنًا الذين يمكنهم فهم بعض القواعد فهم أخلاقيون، كما أن معرفة القواعد الأخلاقية هي معرفة بأنواع الإجراءات التي تحظرها وتتطلبها، ولا يوجد فرد يكون عضوا في مجتمع ما ويجهل القواعد الأخلاقية الأساسية، فالجميع يعلم أن قتل شخص، أو التسبب في ألمه، أوعدم الوفاء بالوعد، أوعصيان القانون، كلها أمور غير أخلاقية إن لم يُقدم تبريرٌ كافٍ لها[١]، فالقواعد الأخلاقية تحدد سلوك الإنسان، وبذلك تنظمه؛ لأن تنظيم السلوك وبث روح النظام وظيفة أساسية من وظائف الأخلاق، كما أن سلوكنا يخضع في الواقع لمجموعة من القواعد المحددة[٢].

غير أن كل الدلائل شاهدة على تعدد القواعد الأخلاقية، دون أن يكون بإمكاننا بيان أي منها حقيقية بين كل الاتجاهات الأخلاقية المتباينة، وبالتالي فليس هناك ما يشهد بوجود حقيقة أخلاقية مطلقة، فهناك أخلاق، وشجاعة، وطاعة، ووفاء، كل هذه الاتجاهات الأخلاقية إنما هي الدليل القاطع على أن البشرية لم تعرف وصايا أخلاقية مطلقة أو معايير أخلاقية ثابتة[٣]، وعليه فالأخلاق متميزة عن كافة المعارف التي أنشأها الإنسان لأن موضوعها شامل كلي يتطلع إلى مراقبة فاعلية البشر جميعا مراقبة تامة ودقيقة، وهي

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,26-27.

٢- السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ١٩٢.

٣ - زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، سبق ذكره، ص ٧٢.

تتناول الإنسان من حيث إن له وحده ذاتية أو فردية ماثلة في تطوره الخاص، وهذه الوحدة في حقيقة أمرها تتحدد بانخراط إنسان معين في ظروف معينة وزمان معين، فهي تنظر للإنسان على ضوء واقعه الصحيح(١).

فإقرار القواعد الأخلاقية وتطبيقها يعمل على تحقيق السعادة، التي ينتج عنها تحقيق الفضيلة، فالسعادة غير مقبولة دون الفضيلة(٢)، ولابد أن تعم الوجود، إنها توصلنا إلى وحدة مشروع فاعل في العالم(٣)، وتحقيقها – كما يرى كانط – واجب، ذلك أن كون الإنسان غير راضٍ عن حاله، وكونه يعيش وقد انهالت عليه شواغل متعددة لحاجات لم تشبع قد يؤدي ذلك إلى أن تغدو حالته دافعًا كبيرًا لخرق واجباته(٤)، فما يسعى إليه الناس هو تحصيل أكبر قدر من السعادة لأنفسهم، ومهمة القانون هي التأكيد أن أي شخص في سعيه إلى سعادته لن يمس حق الآخرين في السعي إلى الهدف نفسه، وعلى هذا يتحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس(٥)، وسعادة الفرد، يجب أن تكون الهدف من كل مشرع، والحصول على اللذة والتحصن ضد الألم يشكلان الغاية التي ينشدها الفرد بتصرفه، والمشرع بقانونه(٦).

ويشير الباحث هنا إلى أنه لا بد أن تطبق القواعد الأخلاقية على جميع الأفراد الذين يعرفونها، ويستطيعوا تنفيذها، وإن كان هناك استثناءات مثل الأطفال ومرضى التخلف العقلي الذين لا يمكن الحكم على سلوكياتهم؛ لأنهم لايفهمون القواعد، فمعرفة القواعد الأخلاقية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه يعني معرفة بالإجراءات التي تتطلبها أو تمنعها، ولا يوجد فرد عضو في مجتمع ما يجهل القواعد الأخلاقية العامة التي يجب عليه اتباعها كونه عضوا في المجتمع.

١ - عزت السيد أحمد: عادل العوا أخلاقه وفلسفته الأخلاقية، دار أنهار للدراسات والترجمة، بيروت، ٢٠١٧، ص ٧٣.
٢ - كيريل نيشيف، وفولتشنكو: أخلاقيات السعادة، ترجمة: يوسف إبراهيم الجهماني، دار حوران، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٢٢.
٣ - جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل العوا، عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٥٧.
٤ - إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتعليق: محمد فتحي الشنيطي، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٥٢.
٥ - برتراند راسل: حكمة الغرب (الجزء الثاني)، ترجمة، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧٢، الكويت، ١٩٨٣م، ص ١٥٩.
٦ - جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٤٠.

سادسًا- السمات المميزة للأحكام الأخلاقية:

بداية يعترف "جيرت" بأن إصدار الأحكام الأخلاقية يتم بشكل يتناسب مع تصرفات الأفراد وبقدر ما يكونون قادرين على فهم التصرفات التي تتطلبها وتسمح بها أو تحظرها الأخلاق، فلا أحد يصدر أحكامًا أخلاقية على تصرفات الرضع والأطفال الصغار، ولا على الأشخاص الذين يعانون من تخلف عقلي، وإذا كان ينبغي إصدار أحكام أخلاقية بشأن تصرفات الأطفال الأكبر سنا فإنه يعتمد على قدرتهم على فهم أن الأخلاق تحظر أو تتطلب تلك الأنواع من الإجراءات، فعبارات جيد أخلاقيا وسيئ أخلاقيا وصحيح أخلاقيا وخطأ أخلاقيا، عبارات ذات دلالة، ولا يتم إصدار أحكام أخلاقية يكون الإنسان جاهلا فيها بشكل مطلق، فالأحكام الأخلاقية لا تتخذ الإجراءات على أساس النتائج الجيدة أو السيئة وقت التصرف إلا إذا كان يعرفها الفرد، فالصدفة غير المتوقعة التي تؤدي إلى فعل يؤدي إلى موت كثير من الناس لاتجعل الإجراء سيئا من الناحية الأخلاقية؛ لأن الحكم الأخلاقي لايقع ما لم يكن معروفا وقت التصرف[١].

ففي كل مجتمع توجد تصرفات يُسمح بها وأخرى ممنوعة، فعندما ينتمي الإنسان إلى مجتمع أكبر يتسع نطاق واجباته وأخطائه المحتملة، وتظل هناك مجموعة من القواعد يجب عليه طاعتها وإلا قوبل باستهجان عام، وبالنظر إلى الأخلاق بين النظم الأخلاقية لا نستطيع أن نقول إن تصرفات من نوع معين صواب وأخرى خطأ إلا إذا وجدنا طريقة تُحدد أن نُظما بذاتها خير من الأخرى[٢]، ويكشف "جيرت" أن الأخلاق المشتركة تضم جميع المجالات وهي إطار يمكن لجميع أطراف النزاع الأخلاقي قبوله، على الرغم من أنهم قد يختلفون مع بعضهم بعضًا بشأن ما يجب القيام به، فجميع البشر عرضة للخطر، ليس فقط يمكن أن يعانوا من الأضرار، ولكن يمكن أن يكون سبب معاناتهم من هذه الأفعال أعمال الآخرين، فيمكن التسبب في المعاناة والألم، والحرمان من السرور بسبب تصرفات الآخرين[٣]، وعليه فالسلوك المقصود في الأخلاق مشروط بأن يصدر عن عقل

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,10-11.

٢ - راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، سبق ذكره، ص ص ٢٩-٣٠.

3-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, p.,12.

مدرك يتعقل الموقف ويتدبر نتائجه بإرادة حرة؛ لأن الأخلاق تهدف إلى تحقيق غاية في حياتنا[١].

ويصل "جيرت" إلى أنه لا يوجد شخص عقلاني يعاني من الأضرار ما لم يكن لديه سبب للمعاناة، ففي الواقع يسعى جميع الأفراد إلى تجنب الموت والألم وفقدان الحرية والمتعة ما لم يكن لديهم سببٌ كافٍ لعدم تجنبهم، وبالتالي فهم يؤيدون اعتماد قواعد تحظر التسبب في مثل هذه الأضرار لأنفسهم وللآخرين، وفي بعض الأحيان يخضعون لإجراءات مؤلمة خطيرة من أجل تأجيل الموت، وفي بعض الأحيان يختارون الموت بسرعة لتجنب الألم والمعاناة المستمرة، وقد يختار بعض الأفراد تحمل الأذى من أجل منع أو تخفيف الضرر عن الآخرين، فرجال الإطفاء لا يعرفون الناس لكنهم يساعدونهم، فلا يجب أن يُنظر إلى أولئك الذين يخاطرون بأنفسهم لمساعدة الآخرين على تجنب الأذى على أنهم يتصرفون بطريقة غير عقلانية[٢]، فمهة الأخلاق أن تمنع الفرد من أن يطأ المناطق المحرمة عليه، فهي نظام ضخم من النواهي، هدفها تحديد الدائرة التي يمكن أن يتحرك فيها نشاطنا الفردي[٣].

غير أن هناك سمات عامة يجب إقرارها مثل: تجنب الضرر، وعدم الوقوع في الخطأ، فالناس يعرفون ماذا يفعلون، وما الآثار المترتبة على أفعالهم؟، ومع ذلك يعلم الجميع أنه حتى الأفراد الذين يثقون في آرائهم يخطئون أحيانا، فالخلاف الأخلاقي في الحياة اليومية يرجع إلى الخلاف حول الحقائق، وبمجرد الاتفاق يتم الحصول على الحقائق، بما في ذلك الاتفاق على عواقب العمل وبدائله، فبعض الموضوعات المثيرة للجدل، مثل الانتحار بمساعدة الطبيب، هي خلاف أخلاقي، هذه الموضوعات تثير الكثير من النقاش[٤]، وليس هناك مقياس واحد ثابت للصحيح والخطأ صالح لكل زمان ومكان، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في الأحكام الخلقية، غير أن ما يزعمه الناس

---

[١] - مصطفي عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص ص، ٣٤، ٣٧.

2-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,12-13.

[٣] - السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، سبق ذكره، ص٢٠١.

4-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,13-14.

أن الأخلاقيات تقتضي مبادئ ومعايير ومقاييس ثابتة لا تتغير على مر الزمان بوصفها الحماية التي تصون الأخلاق من الفوضى، هذا الزعم لم يعد يُبرر على أساس العلم[١].

وقد حدد "جيرت" أسباب الخلاف الأخلاقي في ثلاث نقاط، هي : ١- الخلاف بشأن الآخر، بمعنى أن الجميع يتفقون على أنه ليس من المبرر أخلاقيا انتهاك القواعد الأخلاقية تجاه الذين يتخذون وجهة نظر معاكسة من أجل منعهم من التصرف وفقا لوجهات نظرهم.٢-الاختلاف في تصنيف الأضرار والفوائد للتقليل من التعرض للأخطار، فكل شخص يدرك أن هناك درجة معينة من الانتهاك مسموح بها، وأن الخداع مسموح به إذا كان هناك ما يبرره.٣- الاختلاف حول إذا ما كان الإجراء غير الأخلاقي له ما يبرره؟ فإذا كان المريض المعتمد على جهاز التنفس الصناعي قد رفض الاستمرار عليه، فهل يعد إبعاده عن جهاز التنفس الصناعي قتلاً؟ هذه واحدة من الاختلافات، فإحدى القواعد الأساسية للأخلاقيات التطبيقية تتمثل في تفسير القواعد في عملية معينة[٢]، وعلى الجانب الآخر نجد النظرية الأخلاقية تتكون من الأحكام التي تحتوي على أنواع من الأحداث، والأفعال الجيدة، والصحيحة، وهذه الأحكام تعبر عن ميول الأفراد، فأخلاق الفرد هي سلوكياته أي ميوله تجاه أنواع معينة من الأفعال والأحداث[٣].

ويُبين "جيرت" أن من يطبق النظام الأخلاقي هم أولئك الذين يمكنهم اتخاذ القرارات والأحكام الأخلاقية، ففلاسفة الأخلاق يسارعون إلى توضيح القواعد والمثل العليا والإجراءات الأخلاقية لتبرير التصرفات التي يستفيد منها الأخلاقيون ضمنيا في اتخاذ القرارات والحكم عليها؛ ونظرا لأن الأحكام الأخلاقية تؤدي إلى تغيير اهتماماتنا إلى حد كبير، بالتالي تُستخدم في اتخاذ قرارات أخلاقية، وفي الواقع يجب أن تكون الأخلاق نظاما متسقا وجميع أجزائها مقبولة منطقيا، لذلك يمكن للفيلسوف إظهار أن الحكم الأخلاقي الذي تم اتخاذه من قبل عدد كبير من الأخلاقيين خاطئ إذا كان بإمكانه إظهار أن القرار غير

١ - حسام محي الدين الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص ١٢٦.

2-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,14-15.

3- Paul D. Wienpahl: Philosophy of Ethics, Ethics, and Moral Theory, The Journal of Philosophy, Vol. 45, No. 3, 1948, p.,57.

منطقي، وأن الحكم الأخلاقي لا يتفق مع القرارات أو الأحكام الأخلاقية التي قد يتخذها أي شخص عقلاني محايد[١].

ومن السمات التي يجب التأكيد عليها هي أن الأحكام الأخلاقية قادرة على أن تحكم على الشيء بأنه خير أو شر، فالصدق خير حكم أخلاقي، والكذب شر كذلك، والحكم لا يصدر إلا على الأعمال الإرادية، فما لم تكن إرادة لا يصدر حكم أخلاقي، غير أننا نصدر الأحكام بالعقل والاستدلال وذلك بمقتضى التجارب، فالناس عملوا أعمالاً، ولاحظوا ما نتج عنها، فرأوا نتائجها حسنة فحكموا بخيريتها، وعملوا أعمالاً رأوا نتائجها سيئة فحكموا عليها بالشر، واستمرارية الأمة في تجاربها يفضي بها إلى تعديل آرائها في الأشياء، والسبب في تغيير الآراء هو اتساع المدارك بكثرة التجارب والملاحظات والاستدلال[٢]، فالحكم يقوم على الأفعال وهو غير ثابت ومختلف باختلاف الناس، وله دوافع تؤدي إلى إصداره على النحو الذي يصدر عليه[٣].

سابعًا- نظرية المُثل الأخلاقية:

يرى "جيرت" أن المثل الأخلاقية تجسد طبيعة الأخلاق أكثر من القواعد الأخلاقية؛ لأن اتباع المثل يؤدي إلى تحقيق الغاية الأخلاقية، ويقلل الشر أو الأذى، ويمكن لأي شخص التصرف وفقا للقواعد الأخلاقية، أي عدم انتهاك أيٍّ منها، دون اتصال بأشخاص آخرين، ولكن اتباع المثل الأخلاقية ينطوي على مساعدة الآخرين، فجون ستيوارت مل يرى أن هدف الأخلاق تقديمُ أعظم خير، ويؤكد أن القواعد الأخلاقية التي تمنع البشرية من إيذاء بعضهم بعضًا هي أكثر حيوية لرفاهية الإنسان، واحترام وحفظ السلام بين البشر[٤].

فالقواعد والمثل الأخلاقية تحظر القيام بالأعمال التي تسبب الأذى للناس، وطالما أن الفرد لا يخالف القاعدة الأخلاقية، فبالتالي الأخلاق تشجع على اتباع المثل الأخلاقية، وقد يكون من المفيد الحديث عن مُثل أخلاقية، حيث إن هناك مُثلاً أخلاقية تنطوي على منع

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,16-17.

٢ - أحمد أمين: كتاب الأخلاق، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٣١م، ص ١٨، ص ٢٩.

٣ - عبدالرحمن بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م، ص ١٧١.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,246.

الضرر، فالأطباء ملتزمون بالمثل الأخلاقية لمنع الألم والإعاقة، وهناك أيضا مُثل أخلاقية تنطوي على منع الانتهاكات غير المبررة للقواعد الأخلاقية، كما أن الفهم السليم للأخلاق يؤدي لمنع انتهاكات القواعد الأخلاقية بشكل عام، ويُعد اتباعا للمثل الأعلى الأخلاقي[١]، فالمشكلة الأخلاقية تتعلق بأخلاق الفعل، فالفعل مهم من الناحية الأخلاقية عندما يؤخذ على أنه مظهر من مظاهر الشخصية الأخلاقية، والأخلاق في المقام الأول تتعامل مع أخلاق الفاعل، وعليه يؤكد جون ستيوارت مل علي المنفعة التي تؤخذ على أنها معيارٌ للصواب والخطأ[٢]؛ لأن الأخلاق موضوعها أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن والقبح، فالخلق صفة مستقرة في النفس فطرية كانت أو مكتسبة ذات آثار في السلوك[٣].

ثم يرفض "جيرت" أن نقرر شكلاً معينًا للمثل الأخلاقية؛ لأن اتباع أي مثل أخلاقي عادة ما يستحق الثناء، إنما المهم التمييز بين المثل الأخلاقية والمثل العليا الأخرى؛ لأنه لا يمكن تبرير انتهاك قاعدة أخلاقية، فمثلا أولئك الذين يقومون بتدريب الرياضيين، أو ينخرطون في البحث التاريخي أوالعلمي، أو يقدمون وصفات جديدة يتبعون المثل النفعية، وكذلك هناك المثل العليا الدينية، وهي خاصة بالجوانب الروحانية، وكذلك المُثل الشخصية التي تعزز السمات الشخصية(مثل الطموح) وهكذا تتعدد وتختلف المثل[٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية الضمير – الذي يُعد مؤثرًا قويًا في تحقيق المثل العليا – كمركب من الخبرات، وعلى أساسه يفهم الإنسان المسئولية الأخلاقية لسلوكه وأفعاله في المجتمع، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالواجب، فالأخلاق تبني في صميمها على الضمير الداخلي للإنسان، وقد كان سقراط يسمي صوت الضمير الروحَ الإلهي الذي ينهاه كلما اعتزم فعلاً منافيًا للأخلاق[٥]، فهو عبارة عن المثل الأعلى للحياة التي تشكل الشخصية الأخلاقية، والضمير يعني أنك أصبحت واعيًا بخطتك بأن تصبح ذاتًا مستقلة، بصرف النظر عن هذه الخطة، أو هذا المثل الأعلى، فحياتك كما تحيا أحداثها، وخبراتك،

1- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,43.

2- J. E. Ledden: Virtue, Obligatoriness, and Rightness, Mind, Vol. 56, No. 224 , 1947, p., 351.

٣- خالد بن جمعه بن عثمان الخراز: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٢٢.

4- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,43.

٥ - سناء خضر: الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ص ٨٦-٨٧.

ومشاعرك، وأفعالك كلها عبارة عن تجسيد لخطتك المثالية[١]، وعلى هذا فالضمير لو كان ظاهرة منعكسة عن القوي الخارجية عن وجود الانسان لما وجدنا أي تفسير لما يقوم به، بل يتحمل الآلام والمشاق في سبيل الصالح العام، والضمير ليس مخزونًا للشهوات المكبوته بل تُختزن فيه أيضًا الأهداف السامية للوصول إلى الكمال المطلوب[٢].

أ- دور المثل الأخلاقية:

إن الأخلاق تعمل على تحليل السلوك الإنساني من حيث بواعثه وأهدافه، مع دراسة الإرادة الإنسانية والمسئولية الخلقية وركنيها: الفعل والاختيار، والأخلاق تدرس سلوك الإنسان وأفعاله بالقياس إلى مثل أعلى، وتدرس ما ينبغي أن نفعله، وتهتم بتحديد ماهية الخير والشر، وليس هدف الأخلاق مقصورا على معرفة النظريات والقواعد بل من أغراضها أيضا التأثير في إراداتنا وهدايتها، وحملنا على أن نعدل سلوكنا حتى نحقق المثل الأعلى للحياة ونحصل على خيرنا وكمالنا ومنفعة الناس وخيرهم[٣]، فالقواعد الأخلاقية تفسر القرارات والأحكام المتعلقة بما هو مطلوب وما هو محظور أخلاقيا، لكي يستمر المجتمع البشري قائما، أما المثل العليا الأخلاقية فتفسر القرارات والأحكام وفقا لما يتم تثبيته وتشجيعه من الناحية الأخلاقية من أجل ازدهار المجتمع البشري، فالأخلاق تحتوي على كل من القواعد والمثل العليا، ولابد من التركيز على القواعد الأخلاقية؛ لأن الأحكام الأخلاقية أحكام على الأفعال باستخدام القواعد الأخلاقية والمثل[٤].

ويبذل "جيرت" جهدا كبيرا للتمييز بين المثل العليا الأخلاقية والمثل العليا الأخرى، فعلى عكس القواعد الأخلاقية، ليس من المهم إدراج هذه المُثل بالكامل؛ لأنه يمكن معاقبة الأشخاص لعدم اتباعهم القواعد الأخلاقية، أما عدم اتباع المُثل الأخلاقية فقد يستدعي النقد وليس العقاب، فالجميع يعلم أن العمل على تقليل الشر يتبع المثل الأخلاقية، ولكن بما أن اتباع المُثل الأخلاقية يمكن أن يبرر انتهاك القاعدة الأخلاقية، فمن المهم التمييز بين المُثل

---

١ - جوزايا رويس: فلسفة الولاء، ترجمة: أحمد الأنصاري، مراجعة: حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، الهيئة العامة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص ١١١.

٢ - السيد مجتبي الموسوي اللاري: رسالة الأخلاق، إعداد وتعريب وتحقيق: محمد هادي اليوسفي، الدار الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص ٥٨.

٣- محمد عبدالله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ١٧، ص ١٩.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, pp.,246-247.

الأخلاقية والمثل العليا الأخرى، ثم تقديم وصف للمثل الأخلاقية العامة وشرح كيف تختلف عن المثل الأخرى[١]، كما أن المثل الأخلاقية تختلف عن القواعد الأخلاقية من حيث إن الأخيرة يجب طاعتها طوال الوقت، وبطبيعة الحال يفضل الجميع أولئك الذين يتبعون المثل العليا الأخلاقية، فإخفاق المرء في عدم تطويع نفسه في فعل قاعدة أخلاقية يحتاج إلى مبرر، وكل شخص يعرف أنواعًا من الأفعال غير الأخلاقية (مثل القتل، والتسبب في الألم، والخداع)، والجميع يتفق على أن العمل على تخفيف الألم والمعاناة تشجعه الأخلاق[٢].

غير أنه من الممكن وجود قاعدتين أخلاقيتين يمكن أن تتعارضا، فأداء المرء لواجبه قد يتطلب التسبب في الألم، ومن الخطأ أن نقر أنه ينبغي للمرء دائما أن يتجنب خرق قاعدة أخلاقية، بل سيكون من غير الأخلاقي أحيانا عدم كسر القاعدة، فعلى سبيل المثال الطبيب الذي يقوم ببعض الإجراءات المؤلمة من أجل منع الألم أو الوفاة الأكثر خطورة، يخرق القاعدة الأخلاقية وهي عدم التسبب في الألم، لكنه لا يفعل أي شيء غير أخلاقي، فرفض القيام بالإجراء المؤلم الضروري يُعد انتهاكا لواجبه كطبيب، وبالتالي سيحتاج إلى مبررات أقوى حتى لا يكون فعلاً غير أخلاقي، وعليه قد يكون هناك مبرر قوي لكسر قاعدة أخلاقية ولا يكون هناك تعارض مع قاعدة أخرى[٣]، فالأخلاق تهتم بقضية كيف يجب أن نعيش، وليس من أجل إنجاز هدف معين، ومن أجل عيش حياة صالحة بصورة عامة تتناول الأخلاق المثل العليا الأكثر تجريدا، وتتناول كذلك الطبيعة العامة للأخلاق[٤].

ويستنتج "جيرت" أنه ليست هناك حاجة لتقديم تبرير لكل مثال أخلاقي، فجميع المثل العليا الأخلاقية مثل: الحفاظ على الحياة، وتخفيف الألم، ومساعدة المحتاجين، ومنع السلوكيات غير الأخلاقية، كلها تقلل كمية الأذى والشر الذي يعاني منه أولئك الذين تحميهم الأخلاق، فجميع الأفراد يفضلون كل شخص يتبع هذه المثل الأخلاقية التي تقلل

1- Ibid., p.,247.
2- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, pp.,43-44.
3- Ibid., p.,44.
٤- جوليان باجيني: الفلسفة موضوعات مفتاحية(المعرفة – الأخلاق – العقل – الدين – السياسة) ترجمة: أديب يوسف شيش، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ١٣٥.

بشكل مباشر من مقدار الشر أو الأذى[١]؛ لأن الأخلاق محاولة لفهم التجربة الأخلاقية الفردية والكلية، والأخلاقيون يوضحون المصطلحات ويحللون الحجج والافتراضات ويحاولون جعل النظام الأخلاقي أكثر اتساقا، وكذلك يُبينون التطورات الجديدة، ويقدمون الأسباب لاتخاذ إجراءات فعلية[٢]، ويضرب "جيرت" مثالا بأن الموقف الأناني لا يعبر عن المثل الأخلاقية، لذلك يجب القضاء على الأنانية، والتخلص من مركزيتها عن طريق القواعد الأخلاقية[٣]، لأنه لا إنسان بغير أخلاق، فالأخلاق صفات مخصوصة الأصل فيها معانٍ ومثلٌ عليا، والإنسان أكثر تطلعًا إلى تحقيق القيم، بحيث يكون له وصف الإنسانية على قدر ما يحقق منها[٤].

ومن المؤكد أن المثل العليا جزءٌ من نظام عام ينطبق على جميع الأفراد، وهذا يعني أن الذين يسعون إلى الاتفاق مع الأخلاقيين يرون هذه المُثل جزءًا من النظام الأخلاقي، وبالتالي سيشجعون على متابعتها كلما كان ذلك لا ينطوي على انتهاك قواعد أخلاقية، ولن يشجعوا، بل سيحظرون تلك المثل العليا عندما تنطوي على انتهاك غير مبرر لقاعدة أخلاقية[٥]، فالأخلاق مرتبطة بالمجتمع الإنساني الذي يحدد المطالب ويوجبها على أعضائه ويعبر عن المستويات الأخلاقية، وهذه المستويات ليست ثابتة ولا دائمة، بل إنها تتغير بتغير المجتمع[٦].

ووفقا للمثل الأخلاقية، يجب الوقوف لمساعدة ضحايا حادث ما، حتى لو تم كسر القاعدة الأخلاقية، وهي عدم الوفاء بوعد مقابلة شخص ما، فالجميع سيقبل هنا بخرق القاعدة الأخلاقية، ولذلك، فالقول إن شخصا ما قد خرق قاعدة أخلاقية لا يعني أنه فعل شيئا غير مقبول من الناحية الأخلاقية بشكل مطلق، فقد يضطر الطبيب أيضا لخداع

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,247.

2- Richard T. De George: The Relevance of Philosophy to Business Ethics: A Response to Rorty's "Is Philosophy Relevant to Applied Ethics?, Business Ethics Quarterly, Vol. 16, No. 3, 2006, p.,381.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,247.

٤ - طه عبدالرحمن: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ١٤٧.

5- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,248.

٦- محمد كمال إبراهيم جعفر: في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، ١٩٦٨، ص ٢٢٩.

المريض حول التشخيص لتجنب التسبب في القلق والمعاناة، وبالتالي فخداعه لفترة زمنية محدودة يؤدي في الواقع إلى تعرضه لأذى أقل مما لو تم إخباره بالحقيقة، وهنا قد يزعم طبيب آخر أن هذا الخداع ليس له ما يبرره، بصرف النظر عن مدى صعوبة قبول المريض للحقائق الآن، إذ من الممكن اكتشاف الخداع، وبالتالي سيزيد فعليا من حجم الضرر الذي لحق به؛ لأن المريض سيُحرم من فرصة اتخاذ القرارات بناء على الحقائق، وإذا اكتشف الخداع فلن يكون لديه ثقة في التشخيص الذي أدلى به الطبيب فحسب، بل ومقدمي الرعاية الصحية، وبالتالي يزداد قلقه ومعاناته[١].

ويُظهر "جيرت" هنا أن المثل الأخلاقية العامة هي جزء من الأخلاق المشتركة، والقواعد التي يتم استخدامها في صياغة المثل الأخلاقية العامة هي قواعد مطلوبة ومهمة، والمثل الأخلاقية ليست محظورة، وتطبيقها يستلزم إجراءات إيجابية[٢]، وعليه فالأفعال البشرية يتميز بعضها عن بعض تبعا للغاية التي تهدف إلى تحقيقها، فالغايات التي يسعى إليها الناس تنطوي على فئتين: فئه تختص بالفرد نفسه الذي يسعى إليها، وهنا يقال عنها إنها شخصية، وفئة أخرى تختص بشيء غير الفرد ونسميها بالغايات غير الذاتية[٣].

غير أن المثل العليا الأخلاقية هي تلك المعنية مباشرة بتقليل الشرور، فالأفراد الذين يسهمون أو يتطوعون في مختلف وكالات الإغاثة التي تساعد ضحايا الحرب والمجاعات والفيضانات والزلازل وغيرها من الكوارث التي تقع على الإنسان يتبعون بشكل واضح المثل العليا الأخلاقية، فأولئك يعملون مع الشعوب المتضررة ويحاولون مساعدتهم والتعاون معهم بشكل أكثر فاعلية لتخليصهم من الشرور التي يعانوها، ثم يتبعون المثل العليا الأخلاقية من خلال المساعدة في علاج الأمراض التي تسبب الكثير من الوفيات والألم، فالمساعدة في العلاج أو الوقاية من الأمراض هي وسيلة لمتابعة المثل العليا الأخلاقية، ومن بين المهن الكبرى نجد الطب والتمريض يتبعون المثل الأخلاقية من خلال تخفيف الألم، فالمثل العليا الأخلاقية هي الدوافع الأساسية للكثير من الذين يدخلون في

1- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, pp.,44-45.
2- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,248.
٣- إميل دور كايم: التربية الأخلاقية، ترجمة: السيد محمد بدوي، مراجعة: علي عبدالواحد وافي، تقديم: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص٥٦.

مهن الطب والتمريض، وبالتالي نجد أن الأطباء والممرضين يُعدون أشخاصًا صالحين أخلاقيا[١].

وهكذا فالمعرفة الأساسية حول كيفية التصرف بطريقة صحيحة أو خاطئة أخلاقيا ليس شيئا يجب اختراعه ولكنها موجودة فيما يسميه كانط المعرفة العامة، فالمعرفة الأخلاقية شيء مفروغ من وجوده، لكن يجب توضيحها وتنظيمها، وكذلك توضيح ما تتكون منه المعايير الأخلاقية[٢]؛ لأن القوانين الخلقية هي مجموعة القواعد التي تنظم سلوك الناس، بمعنى أن الإنسان العاقل المختار في إرادته يجب عليه أن يشكل سلوكه على ضوئها في ظروف الحياة المتنوعة، وبهذا نصل جميعا للمثل الأعلى الأخلاقي الكامل، كما أن بعض القواعد الخلقية (كالصدق والأمانه والعدالة) ثابتة لا يطرأ عليها تغيير مهما تفاوتت العقول في فهمها أو تطبيقها بتأثير عوامل الزمان والمكان، فما كان خيرا في الماضي هو كذلك في الحاضر والمستقبل، فالصدق والأمانة والعدالة مبادئ خلقية عامة لا استثناء فيها تفرض نفسها على الناس جميعا بواسطة الضمير[٣].

ومن ناحية أخرى هناك مُثل أخلاقية ترتبط ارتباطا مباشرا بمنع الشرور، وتشكل جوهر القواعد الأخلاقية، مثل عدم فقد الحرية، وعدم فقد المتعة، وعدم فقد التملك بسبب أشخاص آخرون، فالحروب، سواء كانت مبررة أم لا، تسبب كميات هائلة من الشر الذي يعاني منه البشر، والعمل على منع الحرب وتحقيق السلام هو قمة المثل العليا الأخلاقية، فطوبى لصانعي السلام، [٤]، كما أن الفعل الأخلاقي يفترض قدرة الفرد على معرفة الخير والشر والتمييز بينهما، ومن ثم اختيار أحدهما بعقل حر واعٍ يستهدف تحقيق غاية أخلاقية يسعى إليها الفاعل بإرادته متخذا الخطوات اللازمة لذلك[٥]، غير أن اتباع المُثل لا يعني انتهاء الشر بشكل نهائي، بل سيقلل مقدار الشر، وعليه فطاعة القواعد واتباع المثل

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,249.

2- Svend Andersen: Theological Ethics, Moral Philosophy, and Natural Law, Ethical Theory and Moral Practice, Vol. 4, No. 4, Is Theological Ethics Relevant forPhilosophers, 2001, p.,349.

٣- محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ص ٦٧.

4- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,249.

٥ - إمام عبدالفتاح إمام: الأخلاق والسياسة(دراسة في فلسفة الحكم)، سبق ذكره، ص ٧٦.

الأخلاقية لا يضمن التصرف بطريقة أخلاقية بشكل مطلق؛ لأن الأخلاق نظام معقد، وأية محاولة لتلخيصها في شعار بسيط أو حتى التفكير في أنه يمكن فهمها بشكل مستقل سيكون غير دقيق(١).

والشيء المحقق أن التصرف بناء على أي مثال أخلاقي يؤدي إلى تجنب أو تخفيف أو منع الأذى للأفراد الخاضعين للنظام الأخلاقي، فليس هناك حاجة لتقديم وصف مفصل لكل مثال أخلاقي، لكن يتم تشجيع الناس عليها، وعدم اتباع المثل الأخلاقية لا ينطوي على عقوبة على عكس انتهاكات القواعد الأخلاقية التي تحتاج دائما إلى تبرير، فمن المهم طاعة القواعد الأخلاقية أكثر من اتباع المثل الأخلاقية(٢)، وعليه كما يرى بنتام فالفعل الخير هو الذي يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، وهذه غاية الحياة الخلقية التي ينبغي أن يطمح إلى تحقيقها الفرد والمجتمع الإنساني معًا، ومن ثم تكون أخلاقية الأفعال الإنسانية مرهونة بما يترتب عليها من منافع تحقق السعادة للناس(٣)، وهنا أيضا يوضح مل أن القواعد الأخلاقية التي تحظر على البشرية أن تؤذي بعضها بعضًا تُعد أكثر أهمية بالنسبة للإنسان، وأهميتها تشير إلى أفضل طريقة لإدارة الشئون الإنسانية، فالإنسان يحتاج دائما من الآخرين ألا يقوموا بإيذائه، فالمثل العليا الأخلاقية تشجع الناس على منع أو تخفيف الأضرار التي تمنعها القواعد الأخلاقية(٤).

ب- المثل العليا الأخلاقية والقيم الأخلاقية:

هنا يُقرر "جيرت" أن اتباع المثل الأخلاقية المتعلقة بمنع الانتهاكات غير المبررة للقواعد الأخلاقية يتم بعدة طرق، منها: أولاً- بيان الأخلاق المشتركة، ثانيًا- بيان الموقف الأخلاقي المناسب تجاه القواعد الأخلاقية، فالشخص الذي يحاول منع الانتهاكات غير المبررة للقواعد الأخلاقية التي تنشأ عن سوء فهم للأخلاق يتبع المثل الأخلاقي، إلا أن اتباع المثل الأخلاقية من خلال تقديم توضيح للأخلاق، أو من خلال النصح يجعل الأفراد

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, pp.,249-250.

2-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, pp.,22-23.

٣ - توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة(في فلسفة الأخلاق)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، ص ص ٩٨-٩٩.

4-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, p.,23.

يتبنون المواقف والقواعد الأخلاقية، فالشخص الذي يعارض الفعل غير الأخلاقي الذي يقوم به شخص قوي أو مجموعة من الأفراد يتبع المثل الأخلاقية بشكل كبير، والشخص الذي لا يتعرض لأي خطر لكنه يكرس قدرا كبيرا من الوقت والجهد لتشجيع الناس على التصرف أخلاقيا يستحق الثناء الأخلاقي[١]، فعلي سبيل المثال يسعى المحامون إلى منع فقدان الحرية، وبالتالي يتبعون المثل العليا الأخلاقية، وإلى جانب المحاولات المباشرة لمنع أو تخفيف الأضرار، هناك أيضا محاولات غير مباشرة، فرجال الشرطة يسعون إلى منع الناس من انتهاك القواعد الأخلاقية دون مبرر وفقا للمثل العليا الأخلاقية، كما أن التصرف المتعمد لتقليل الضرر الذي يلحق بالآخرين، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر هو اتباع المثل الأخلاقية[٢].

غير أن مبادئ الأخلاق قائمة على أساس طبيعي؛ لأن النتائج الأخلاقية تلزم عن قانون التطور العام، فالإنسان قادر على التغيير بصورة لا نهاية لها عن طريق التكيف مع الظروف، وبخاصة التغير من الحياة الوحشية إلى الحياة المدنية المستقرة، وفي هذا التكيف يقمع الإنسان سمات الإنسانية القديمة ليطور سمات أخرى جديدة، وما المبادئ الأخلاقية إلا القواعد التي تساعد على حياة الحضارة التي أُعيد تنظيمها لتكون أكثر ملاءمة[٣].

فإذا كان الفعل وفقا للمثل الأخلاقية ينطوي في بعض المواقف على انتهاك القاعدة الأخلاقية بشكل مقبول، فإن اتباع المثل الأخلاقية بشكل عام لا يبرر انتهاك القاعدة الأخلاقية، فالشخص الذي يتفق مع شخص آخر على تناول العشاء يجب عليه أخلاقيا القيام بذلك، كما أنه لا يُطلب إلا من رجل الإطفاء المخاطرة بحياته لإنقاذ الأطفال من مبنى يحترق، والناس سيشجعونه على ذلك؛ لأنه مؤهلٌ أكثر منهم[٤]، ولا يشك أحد في أن محاولته لإنقاذ الأطفال تعد تبريرًا كافيًا لخرقه لوعده لشخص لتناول العشاء معه؛ نظرا

1- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, pp.,250-251.

2-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do ,p.,23.

٣ - مجموعة مؤلفين: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وأخرون، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، د.ت، ص ٢٤٧.

4-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, p.,24.

لأن اتباع المثل الأخلاقية يمكن أن يقدم مبررا لانتهاك قاعدة أخلاقية[١]، ومن المهم التأكيد أن الناس يُقبلون عادة على القواعد الأخلاقية، فقد تعلموا الإيمان بها، ومن أمثلة تلك القواعد لا تكذب، لا تخدع أقرانك، لا تسرق بالإضافة إلى قواعد يجدونها ملائمة لهم مثل اهتم بشئونك وغيرها[٢].

غير أنه لا يتم تحديد القيمة الأخلاقية لأي فعل من خلال مقدار الشر الذي يتم منعه أو إزالته فقط، ولكن من خلال أهميته في الحكم على الطابع الأخلاقي للشخص الذي يتصرف، وقد يكون لاتباع قاعدة أخلاقية قيمة أكثر من اتباع مُثل أخلاقي، فالعلاقة بين المثل الأخلاقية والقاعدة الأخلاقية مركبة[٣]؛ لأن القواعد الأخلاقية توفر حدودا لما يُسمح للشخص القيام به، فهي تحدد الأهداف التي يتم تشجيع الأفراد على تبنيها، في حين أنه من المتوقع أن يلتزم الناس بالقيود التي تحددها القواعد الأخلاقية طوال الوقت ما لم يكن لديهم مبررٌ كافٍ لانتهاكها، فالناس مطالبون بطاعة القواعد الأخلاقية دائما[٤]، وعليه فالقواعد الأخلاقية تختلف من حيث الدرجة التي يمكن القول عندها إنها تكوينية أو حتى تنظيمية، فهناك بعض القواعد التي بدونها لا تقوم لمجتمع متحضر قائمة والتي بدونها أيضا تنهار القيم[٥].

وعلي هذا فالقيم أشبه بسلم لا نهاية لدرجه، وكل درجة من هذا السلم وسيلة إلى الغاية التي تعلوها مباشرة، وما يكون غايه من وجهة نظر معينة قد يكون وسيلة من وجهة نظر أوسع[٦]، فديوي يجعل الغايات أهدافاً يضعها المرء أمامه، ويقوم بالتصويب نحوها، لهذا فليس للغايات وجود في ذاتها، وإنما توجد حينما يكون هناك ثمة شيء لابد من عمله، والعمل دليل على وجود شيء ناقص لابد من اكتشافه، والعمل على إصلاحه بهدف الوصول إلى الكمال[٧].

1-Ibid., p.,24.

٢- جون هوسبرس: السلوك الإنساني مقدمة في مشكلات علم الأخلاق، ترجمة: علي عبد المعطي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص ٤٦.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, p.,251.

4-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, p.,25.

٥- مابوت: مقدمه في الأخلاق، ترجمة: ماهر عبدالقادر محمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ١١٤.

٦ - جون كارل فلوجل: الإنسان والأخلاق والمجتمع، ترجمة: عثمان نويه، دار الفكر العربي، د.ت، ص ١٩.

٧ - سامية عبدالرحمن: القيم الأخلاقية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ١١٧.

كما يشير كلٌ من كانط ومل إلى أنه من المهم للغاية أن تكون هناك طاعة عامة للقواعد الأخلاقية أكثر من أن يكون هناك اتباعٌ عامٌ للمثل الأخلاقية، فالفشل في اتباع المثل الأخلاقية يؤدي إلى تهديد المجتمع بعدم الازدهار، أما انتهاك القواعد الأخلاقية يجعل من الصعب الحفاظ على مجتمع قابل للحياة، ومع ذلك، فإن اتباع المثل الأخلاقية يعبر عن الأخلاق، أي منع الضرر الذي يتم التعرض له بشكل مباشر، ولا يمكن أن يكون الشخص الذي لا يتبع أي مُثل أخلاقية شخصا جيدا من الناحية الأخلاقية، حتى لو لم ينتهك أية قاعدة أخلاقية، فالمجتمع لا يمكن أن يستمر في الوجود إذا لم يكن هناك طاعة للقواعد الأخلاقية، كما أنه لا يمكن أن يزدهر ما لم يتبع عددًا كبيرًا من أبنائه المثل العليا، فلا بد من إدراك أهمية القيم الأخلاقية سواء مُثل أو قواعد[١]، غير أن القانون الأخلاقي عند كانط ينبع أساسًا من الفطرة الإنسانية السليمة، ويأتي صوته الآمر من الداخل، ولا يُفرض على الفرد من الخارج[٢].

ويعقب الباحث بأن القواعد والمثل الأخلاقية مهمة لضبط سلوك الفرد والمجتمع، وأنها تمنع القيام بالأعمال التي تسبب الأذى للآخرين، وبالتالي لابد من الحث على اتباع المثل، كما أن المثل تختلف باختلاف المعارف والتخصصات، فمهنة الطب أو التدريس أو غيرهما تتطلب مُثُلاً معينة تتناسب مع طبيعة العمل حتى يصل الأفراد الممثلين لتلك المهن إلى أفضل صورة وشكل ممكن، فالفهم السليم للأخلاق يعمل على منع انتهاك القواعد الأخلاقية بشكل عام، ويُعد اتباعا للمثل العليا الأخلاقية.

ثامنًا- أهمية وجود سياسات أخلاقية عامة:

يؤكد "جيرت" أنه لا بد من وجود سياسة عامة للأخلاق يتحدد هدفها في: أولاً- وجود سياق(إطار) من خلاله يكون لكل شخص فكرة عن الأخلاق، ثانيًا- يجب أن يكون هناك مناقشة بين جميع المعنيين بمجرد الاتفاق على وجود سياسة عامة، ثالثًا- يجب على جميع المعنيين التعاون من أجل صياغة مثل هذه السياسة، حتى يصبح كل شخص أكثر معرفة بالبدائل والحجج، ومن المرجح أن تؤدي مناقشة جميع تفاصيل السياسة العامة إلى اتخاذ قرارات أفضل، حيث إن الجميع سيدركون أهمية المسألة[٣]، غير أن العلاقة بين الأخلاق والقانون تعزز القيم الأساسية للمجتمعات، والتكامل بينهما يشير إلى الأخلاق

1-Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do ,p.,26.

٢ - عبدالوهاب جعفر: مبادئ الفلسفة وقضاياها المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ٢٢٦.

3- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, pp.,46-47.

الموضوعية[١]، ولابد أيضا من تأكيد العلاقة بين الأخلاق والعلم، وقد حاول الفلاسفة إظهار أن الأخلاق علمية، من حيث إن المصطلحات والجمل والحجج الأخلاقية مثل العبارات العلمية وصفية وإدراكية وعقلانية، وحاول البعض الآخر إظهار أن العلم أخلاقي أي مثل الأخلاق سلوك توجيهي تقييمي هادف منظم[٢].

ومن المهم التأكيد أن المناقشة تجعل الجميع يدركون أن الأفراد المستنيرين يمكن أن يختلفوا حتى في المسائل الأخلاقية، دون أن يخطئ أحد، فقد يعرض أي شخص موقفه دون فقدان للنزاهة الأخلاقية، فوجود سياسة عامة له قيمة وأهمية، ولا يُحد من حرية إصدار الأحكام، كما أن وجود سياسة عامة يُسهم فيها الأفراد تُعد تحضيرا رائعا للتفكير الأخلاقي المطلوب في جميع المشكلات الأخلاقية، والواقع، أنه إذا كانت السياسة العامة متوافقة مع النظام الأخلاقي المشترك، فستتضمن نوعًا من التفكير الأخلاقي[٣]، غير أن مصلحة الإنسانية تقتضي أن نسند إلى مفاهيم الأخلاق سلطانا خاصا وقوة ذاتية، وأن النشاط الأخلاقي في مجتمع متحضر، إنما هو عقلي قبل كل شيء[٤]، كما أنه من الضروري للفلسفة أن تأخذ في الاعتبار طبيعة البحث الأخلاقي بالنسبة للمصالح الأخلاقية، أي معرفة الغرض من تحديد ما يمكن عمله لضمان نتائجه، فكما يؤكد شليك أن الأخلاق ليس لها هدف آخر غير الحقيقة، فالهدف المعرفي للأخلاق هو المعرفة التفسيرية[٥].

ولنضرب مثالا على ذلك هل يجب على الأطباء إبلاغ أولياء أمور الشباب المراهقين بأنهم يتعاطون المخدرات؟ ليس لدينا إجابة قاطعة على هذا السؤال، فهناك حجج جيدة لصالح إخبار الأهل وحجج ضد إبلاغهم، ومع ذلك، فإن وجود سياسة عامة تنص على أنه سيتم إبلاغ أولياء الأمور أو لا هو الأفضل من عدم وجود أية سياسة عامة على الإطلاق، ففي حالة عدم وجود أية سياسة عامة فإن إخبار أولياء الأمور سيكون

1- Mark S. Blodgett: Substantive Ethics: Integrating Law and Ethics in Corporate Ethics Programs, Journal of Business Ethics, Vol. 99, Supplement 1: The 16h Annual International Conference Promoting Business Ethics, 2011, p.,39.

2- Alan Gewirth: Positive "Ethics" and Normative "Science", The Philosophical Review, Vol. 69, No. 3 , 1960, p., 311.

3- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach ,p.,47.

٤- هنري برحسون: منبعا الأخلاق والدين، ترجمة: سامي الدروبي، عبدالله عبدالدايم، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧١، ص ٨٩.

5- E. M. Adams: The Nature of Ethical Inquiry, The Journal of Philosophy, Vol. 48, No. 19, 1951, p., 569.

مسألة صدفة، تستند فقط إلى الطبيب، علاوة على ذلك، لا الآباء ولا الأبناء يعرفون ما يمكن توقعه إذا لم يتم إخبار أولياء الأمور، فيمكن أن يشتكي الآباء من أنه يجب إخبارهم، حتى يتمكنوا من التحدث مع أولادهم ومساعدتهم في حل مشاكلهم، فعدم وجود قواعد عامة يجعل من الصعب على الآباء أو الأبناء اتخاذ رأي صحيح، كلاهما محروم من فرصة اتخاذ قرار مهم؛ لأنه لا يعرف عواقب الأمر الذي يتم فحصه[١]، فالقانون الأخلاقي يأمر وينهى ويفعل ذلك لنصرة الخير وكراهية الشر، وتحقيق كمال الإنسان[٢]، فالخير التام يتضمن مطابقة القانون الأخلاقي، من حيث إنه العنصر الأسمى لفضيلته، وهو يتضمن كلاً من الفضيلة والسعادة من الناحية الفعلية[٣].

علاوة على ذلك، إذا كانت هناك سياسة عامة، فإن كلاً من الآباء والأمهات والأبناء سيعرفون ما سيحدث، بحيث لن يتم تضليلهم، فإذا كانت السياسة العامة تُقر أنه سيتم إبلاغ الآباء فهذا شيء جيد، أما إذا أقرت عدم إبلاغهم، فسيعلم الآباء أنهم لا يستطيعون الاعتماد على الطبيب لإبلاغهم بأية مشاكل، ويجب عليهم السعي لمعرفة أية مشاكل مباشرة من أولادهم، لكن هذا لا يمنع الأطباء من محاولة إقناع الشباب بالتحدث إلى آبائهم، أي لا بد أن يكون هناك استثناءات لبعض الحالات، مثل تلك التي تهدد حياة الطفل، فالسياسة العامة هي نظام مثل الأخلاق تسمح للناس أن يختلفوا بشأن ما يجب القيام به[٤]، والفلاسفة يركزون على ما يعزز الخير، وذلك يعني أن الأخلاق يجب أن تقوم على الطبيعة الإنسانية، وأن التصرف بطريقة أخلاقية يعني تحقيق طبيعة الفرد، ويجب أن تقوم الأخلاق على تلبية حاجات البشر ومصالحهم الأساسية المتنوعة[٥].

أخيرا يستنتج الباحث هنا أنه لابد من وجود قواعد عامة يتفق عليها جميع الأفراد لتكون حاكمه لسلوكياتهم داخل المجتمع، ولابد أيضا من بيان دور العلاقة بين الأخلاق والقانون، والأخلاق والعلم على وجه الخصوص لتحديد القيم الأساسية للمجتمع، وحتى يتم الحكم على السلوك بموضوعية وحيادية تامة، فوجود سياسة عامة له قيمة وأهمية ويساعد على إصدار الأحكام، ويُبين تحضر المجتمع ورقيه.

1- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, p.,46.

٢ - إمام عبدالفتاح إمام: الأخلاق والسياسة(دراسة في فلسفة الحكم)، سبق ذكره، ص ٨٤.

٣ - وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: إمام عبدالفتاح إمام، التنوير، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٢٨٢.

4- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach ,p.,46.

٥ - صوفيا فوكا، ريبيكا رايت: ما بعد الحركة النسوية، ترجمة: جمال الجزيري، مراجعة: شيرين أبو النجا، إشراف: إشراف: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ١٣٦.

الخاتمة ونتائج البحث:

لقد قادنا هذا التحليل لفلسفة الأخلاق عند برنارد "جيرت" لمجموعة من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولًا– نستنتج أن الأخلاق عند "جيرت" هي منظومة عامة تحكم السلوك الذي يؤثر على المجتمع، وتتضمن القواعد والمثل العليا والفضائل الأخلاقية التي تهدف إلى تحقيق الخير العام، وتقليل الشر والأذى، فالنظرية الأخلاقية تضع ضوابط وأسسًا للقيم الأخلاقية التي تُعد من القواعد الأساسية لأي مجتمع، وتكون مُلزمة لجميع الأفراد؛ لأنها شكل من أشكال الوعي الإنساني.

ثانيًا– أكد "جيرت" أن الأخلاق تتصف بالعالمية، وأن ما يبدو أنه نُظم أخلاقية مختلفة هو مجرد أنواع وأشكال مختلفة من الأخلاق العالمية، لأن الحكم الأخلاقي المقبول عالميا يُعد صحيحا، وكل سمة من سمات الأخلاق يجب أن تقدم هدفا وغاية عامة لجميع البشرية.

ثالثًا– يُقر "جيرت" أن النظام الأخلاقي يشمل القواعد والمثل العليا الأخلاقية، ويتضمن خطوتين لتحديد ما إذا كان يجب السماح بانتهاك قاعدة أخلاقية في ظروف معينة أم لا، فالخطوة الأولى تحديد الوصف الصحيح للانتهاك، والخطوة الثانية تقدير الآثار المفيدة والضارة المترتبة على ذلك الانتهاك، كما أن "جيرت" أثناء تبريره للقواعد الأخلاقية يُقدم بيانات وإجراءات أكثر دقة لتطبيقاتها.

رابعًا– توصلنا إلى أن النظريات الأخلاقية المعيارية – مثل نظرية هوبز وكانط ومل – عند "جيرت" تقدم تخطيطا للنظام الأخلاقي، وأن أية نظرية أخلاقية يجب أن تحتوي على رؤية محددة لمفاهيم العقلانية والموضوعية، ويجب أن تعترف بسمات الطبيعة البشرية، وأن تظهر السمات الأخلاقية بشكل واضح، وأن تصف الطرق والأساليب التي يقوم عليها التفكير الأخلاقي؛ لأن الأخلاق لها مضمون ومحتوى، ونتائج نظرية وعملية تؤدي إلى جعل الأفراد يشعرون بأنهم ملزمون أخلاقيا بمساعدة الآخرين، وفعل الخير بشكل عام.

خامسًا– رأى "جيرت" أن النظام الأخلاقي يتصف بصفتين أساسيتين:أولاً: يجب شرحه وتوضيحه لكل من ينطبق عليهم ويتم توجيه سلوكهم والحكم عليه وفقا له، ثم معرفة ما

يسمح به، وما يحظره، ثانيًا: أن الأخلاق قواعد ونظام عام لا يستطيع الفرد تركها؛ لأنها حاسمة والجميع يخضع لها، كما يجب على فلاسفة الأخلاق بيان طبيعة الأخلاق وإظهار مبرراتها؛ لأن من لديه معرفة وخبرة بها يكون لديه القدرة على اتخاذ أفضل القرارات.

سادسًا– اعترف "جيرت" أن من يطبق النظام الأخلاقي هم أولئك الذين يمكنهم اتخاذ القرارات والأحكام الأخلاقية، ففلاسفة الأخلاق يسارعون إلى توضيح القواعد والمثل العليا والإجراءات الأخلاقية لتبرير التصرفات التي يستفيد منها الأخلاقيون في اتخاذ القرارات والحكم عليها؛ ونظرا لأن الأحكام الأخلاقية تؤدي إلى تغيير اهتماماتنا إلى حد كبير، بالتالي تُستخدم في اتخاذ القرارات الأخلاقية.

سابعا– قرر "جيرت" أن المثل الأخلاقية هي تجسيد لطبيعة الأخلاق بالإضافة للقواعد الأخلاقية؛ لأن اتباع المثل يؤدي لتحقيق الغاية الأخلاقية، وهي تقليل الأذي، كما أن القواعد الأخلاقية تضع حدودا لما يُسمح للفرد القيام به، وتحدد الأهداف التي يتم تشجيع الأفراد على تبنيها، وتمنع البشر من إيذاء بعضهم بعضا لتحقيق رفاهية الإنسان والمجتمع، واحترام وحفظ السلام بين البشر.

ثامنًا– أكد "جيرت" أنه لا بد من وجود سياسة عامة للأخلاق تتحدد من خلال وجود سياق عام من خلاله يكون لكل فرد فكرة عن أفضل نظام يمكن تطبيقه، وكذلك لا بد من صياغة بنود هذه السياسة بما يتناسب مع ظروف المجتمع، لاتخاذ أفضل قرارات.

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا- المراجع العربية:

١- أبو النور حمدي أبوالنور: يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، دار التنوير، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.

٢- أبوبكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسوك الأخلاقي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٥م.

٣- أحمد أمين: كتاب الأخلاق، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٣١م.

٤- أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

٥- أوجين كامنكا: الأسس الأخلاقية للماركسية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

٦- إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعد زهران، تقديم: لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٠، الكويت، ١٩٨٩م.

٧- _____: الإنسان لنفسه، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٨- _____: المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، على مولا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٩- _____: فن الوجود، ترجمة: إيناس نبيل سليمان، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٠- _____: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١١- إمام عبدالفتاح إمام: الأخلاق والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢- إميل دور كايم: التربية الأخلاقية، ترجمة: السيد محمد بدوي، مراجعة: على عبدالواحد وافي، تقديم: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

١٣- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتعليق: محمد فتحي الشنيطي، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٤- اسبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة، جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، د.ت.

١٥- السيد مجتبي الموسوي اللاري: رسالة الأخلاق، إعداد وتعريب وتحقيق: محمد هادي اليوسفي، الدار الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٦- السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

١٧- الشيخ شفيق جرادي: مدخل إلى علم الأخلاق، دار المعارف الحكمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٨- برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبدالكريم أحمد، مراجعة: حسن محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

١٩- _____: حكمة الغرب(الجزء الثاني)، ترجمة، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧٢، الكويت، ١٩٨٣م.

٢٠- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة(في فلسفة الأخلاق)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م.

٢١- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل العوا، عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٢- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٣- جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٢٤- جوزايا رويس: فلسفة الولاء، ترجمة: أحمد الأنصاري، مراجعة: حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، الهيئة العامة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

٢٥- جوليان باجيني: الفلسفة موضوعات مفتاحية(المعرفة – الأخلاق – العقل – الدين – السياسة) ترجمة: أديب يوسف شيش، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢٦- جون كارل فلوجل: الإنسان والأخلاق والمجتمع، ترجمة: عثمان نويه، دار الفكر العربي، د.ت.

٢٧- جون هوسبرس: السلوك الإنساني مقدمة في مشكلات علم الأخلاق، ترجمة: على عبد المعطي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

٢٨- حسام محي الدين الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٢٩- حسن الكحلاني: الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٣٠- خالد بن جمعه بن عثمان الخراز: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣١- ذكي نجيب محمود: فلسفة الأخلاق، مجلة دراسات تربوية، رابطة التربية الحديثة، مجلد ٣، الجزء ١٣، ١٩٨٨م.

٣٢- زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، ١٩٦٦م.

٣٣- سامية عبدالرحمن: القيم الأخلاقية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٣٤- سناء خضر: الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣٥- صوفيا فوكا، ريبيكا رايت: ما بعد الحركة النسوية، ترجمة: جمال الجزيري، مراجعة: شيرين أبو النجا، إشراف: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٦- طه عبدالرحمن: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

٣٧- عبدالرحمن بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م.

٣٨- عبدالوهاب جعفر: مبادئ الفلسفة وقضاياها المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٢م.

٣٩- عزت السيد أحمد: عادل العوا أخلاقه وفلسفته الأخلاقية، دار أنهار للدراسات والترجمة، بيروت، ٢٠١٧م.

٤٠- كيريل نيشيف، وفولتشنكو: أخلاقيات السعادة، ترجمة: يوسف إبراهيم الجهماني، دار حوران، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤١- مابوت: مقدمة في الأخلاق، ترجمة: ماهر عبدالقادر محمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

٤٢- مجموعة مؤلفين: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، د.ت.

٤٣- محمد عبدالله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٤٤- محمد كمال إبراهيم جعفر: في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، ١٩٦٨م.

٤٥- محمد يوسف موسي: مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، ١٩٤٠م.

٤٦- محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٤٧- مسكويه: تهذيب الأخلاق، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٤٨- مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٤٩- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٥٠- منصور على رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٣م.

٥١- هنترميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٥٢- هنري برحسون: منبعا الأخلاق والدين، ترجمة: سامي الدروبي، عبدالله عبدالدايم، الهيئة المصرية العامه، ١٩٧١م.

٥٣- هيجل: أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، الجزء الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٤- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: إمام عبدالفتاح إمام، التنوير، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٥٥- يحيى هويدي: نحو الواقع (مقالات فلسفية)، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.

ثانيًا- المصادر الأجنبية:

1- Bernard Gert: Bioethics: A Systematic Approach, Oxford University Press, Second Edition,2006.

2- Bernard Gert: Common Morality: Deciding What to Do, Oxford University Press, 2004.

3- Bernard Gert: Morality: Its Nature and Justification, Oxford University Press, 2005.

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

1- Alan Gewirth: Positive "Ethics" and Normative "Science", The Philosophical Review, Vol. 69, No. 3 , 1960.

2- Ann – Marie Christensen, : Depending on Ethics :Kierkegaard,s view of philosophy and Beyond , Res cogitans, issue, 4, vol.,1, 2007.

3- Arthur James Balfour: The Philosophy of Ethics, Mind, Vol. 3, No. 9, 1878.

4- A. P. Brogan: A Study in Statistical Ethics, International Journal of Ethics, Vol. 33, No. 2, 1923.

5- David Capps , Michael p. Lyncn , and Daniel Massey : "A coherent moral relativism ", philosophers of Arabs, in synthese,2009.

6- Erich Fromm : The Dogma of Christ, Holt, Rinehart and Winston, New York, first Edition, 1963.

7- E. M. Adams: The Nature of Ethical Inquiry, The Journal of Philosophy, Vol. 48, No. 19, 1951.

8- Jason Kawall : In Defense of the primacy of the virtues, Journal of Ethics and social philosophy, vol.3, no.2, 2009.

9- John Gueguen : Moral philosophy, General Ethics, Arnold Hall, 1999.
10- J. E. Ledden: Virtue, Obligatoriness, and Rightness, Mind, Vol. 56, No. 224 , 1947.
11- Lee Archie , John G. Archie : introduction to Ethics studies, gdfl, version .11 Edition , 2003.
12- Mark S. Blodgett: Substantive Ethics: Integrating Law and Ethics in Corporate Ethics Programs, Journal of Business Ethics, Vol. 99, Supplement 1: The 16h Annual International Conference Promoting Business Ethics, 2011.
13- Paul Clough: The Relevance of Kinship to Moral Reasoning in Culture and in the Philosophy of Ethics, Social Analysis: The International Journal of Anthropology, Vol. 51, No. 1 2007.
14- Paul D. Wienpahl: Philosophy of Ethics, Ethics, and Moral Theory, The Journal of Philosophy, Vol. 45, No. 3, 1948.
15- Richard T. De George: The Relevance of Philosophy to Business Ethics: A Response to Rorty's "Is Philosophy Relevant to Applied Ethics?, Business Ethics Quarterly, Vol. 16, No. 3, 2006.
16- Ronald sandler : what makes a character trait a virtue?, the Journal of value inquiry, 2005.
17- R. S. Downie: Ethics, Morals and Moral Philosophy, Journal of Medical Ethics, Vol. 6, No. 1, 1980.
18-Stan van Hooft: Bioethics and Caring, Journal of Medical Ethics, Vol. 22, No. 2, 1996.
19- Svend Andersen: Theological Ethics, Moral Philosophy, and Natural Law, Ethical Theory and Moral Practice, Vol. 4, No. 4, Is Theological Ethics Relevant forPhilosophers, 2001.
20-William Knight: Practical Ethics, International Journal of Ethics, Vol. 4, No. 4., 18